الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

التخصص: دراسات لغوية

أسس بناء المعجم التاريخي للغة العربية
- دراسة ونقد لنماذج-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إشراف الدكتورة :

- يمينة مصطفاي

إعداد:

- فتحية فراجي

لجنة المناقشة:

- الدكتورة: فريدة موساوي	**رئيسا**
- الدكتورة: يمينة مصطفاي	**مشرفا ومقررا**
- الدكتورة: فتيحة حمودي	**مناقشا**

السنة الجامعية: 2016/2015

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر:

فالشكر أولا لله عز وجل الذي أعطانا الصحة ووهبنا العقل وأنعم علينا بكثير من النعم وساعدنا على إتمام هذا البحث المتواضع، فنحمده كثيرا ونشكره على كل شيء.

كما نتقدم بأسمى معاني الشكر والتقدير إلى الأستاذة العزيزة المشرفة على هذا البحث يمينة مصطفاي التي لم تبخل علينا بتوجيهاتها القيمة، فصوبت لنا عند الخطأ وشجعتنا عند الصواب فلها جزيل الشكر والإمتنان والإحترام وجزاها الله خير الجزاء.

كما نتقدم بالشكر لجميع أساتذة معهد اللغات والأدب العربي وكل العاملين به وكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل قريبا كان أم بعيدا.

إهـــــــــداء:

أهدي ثمرة جهدي طيلة مشواري الدراسي:

إلى أمي العزيزة وأبي الغالي اللّذين كانا سببا في وصولي إلى هذا المستوى.

إلى شمعة بيتنا أخي محمد .

إلى أخواتي سارة ومريم وهاجر.

إلى كل من حملتهم ذاكرتي ولم تحملهم مذكرتي.

مقدمة

بسم الله الرحمان الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى الصحابة والتابعين.

إنّ اللّغة العربية هي من اللّغات السامية المتجذّرة في التاريخ الإنساني، والأهم من ذلك أنها لغة القرآن الكريم الذي شرفنا الله بنزول كلامه المقدس بها.

ومنه فإنّ الحفاظ على هذه اللغة يجب أن تتجه نحوه الأنظار لاعتبارها لغة الكتاب المقدس، وبالتالي فإنّ من بين الوسائل التي تمكّننا من حفظ هذه اللغة وتخزينها هي المعاجم التي تعّد خزانة تراث الأمة ودليلا على تطور اللغة ورقيها.

فاللغة العربية كانت أسبقية في تأليف الأنواع العديدة من المعاجم، ولعل أوّل معجم ألفه العرب هو معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهدي، وبعدها توالت المعاجم العربية وتعددت بشتى أنواعها، إلاّ أنّ المعجم التاريخي الذي يؤرخ للألفاظ العربية - ويعتبر وسيلة هامة لحفظ تاريخ العربي- وتراثها ما زالت اللغة العربية لم تعرفه حتى الآن.

ومنه فإنّ الهدف من بحثنا هذا "أسس بناء المعجم التاريخي للغة العربية –دراسة ونقد لنماذج-" هو الإجابة على بعض الأسئلة المتعلقة بالمعجم التاريخي للغة العربية منها:

- ماهو المنهج التاريخي، وماهو المعجم التاريخي؟
- ماهو المنهج المتّبع لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية ؟
- فيما تكمن أهمية المعجم التاريخي للغة العربية، وإلى أي مدى وصل تحقيقه؟
- ماهي الأسس المعتمدة في إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية ؟

وللإجابة على هذه التساؤلات اتّبعنا الخطة الآتية، حيث قسمنا البحث إلى فصلين: فصل نظري وفصل تطبيقي.

ففي الفصل النظري الذي عنوانه:«مفهوم المعجم التاريخي للغة العربيةوأسس بنائه» قسمناه إلى ثلاثة مباحث، فالمبحث الأول بعنوان:«المنهج التاريخي،مفهومه،نشأته وسماته» تطرقنا فيه إلى تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح وأيضا التاريخ في اللغة والاصطلاح ثم تعريف المنهج التاريخي بصفة عامة ثم نشأته ثم ذكرنا أهم سماته.

أما المبحث الثاني بعنوان:« مفهوم المعجم التاريخي»فقدعرّفنا فيه المعجم لغة واصطلاحا، ثم عرّفنا المعجم التاريخي، ثم بيّنا علاقة المنهج التاريخي بالمعجم التاريخي.

أما المبحث الثالث بعنوان:«أهم جهود العلماء لوضع أسس إنجاز معجم تاريخي للغة العربية»، فقد تطرقنا فيه إلى الحديث عن: اللغة العربية والمعجم التاريخي وأهم المحاولات والجهود لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية بدءا منمحاولة فيشر حتى محاولة معهد الدراسات المصطلحية بفاس (المغرب) حول المعجم التاريخي.

أما الفصل الثاني وهو الفصل التطبيقي بعنوان:«الدراسة التطبيقية لنماذج من معجم محمد حسن عبد العزيز»، فيشتمل على مجموعة من النماذج والأمثلة مأخوذة من المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج) لمحمد حسن عبد العزيز، وهذه النماذج هي ثمانية مفردات وهي:(قطار، ذرة سياسة، زنّار، ترجمان، وزير ووزارة، حاجب وحجابة، حكومة، حيث قمنا في هذا الفصل بدراستها ونقدها، وفي الأخير قدّمنا خلاصة للدراسة التطبيقية.

أما المنهج الذي اتّبعناه في هذا البحث فإنّ طبيعة الموضوع في الفصل النظري اقتضت الاعتماد على المنهج التاريخي الذي يدرس الظاهرة اللغوية عبر التاريخ مع الأخذ بالمنهج الوصفي الذي يوصف اللغة وصفا دقيقاّ.

أما الفصل التطبيقي فقد اعتمدنا فيه بشكل كبير على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم بدراسة وتحليل الظاهرة اللغوية في مختلف أبعادها.

أما الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع فهذا لأهميته وفائدته في تبيين أهمية المعجم التاريخي للّغة العربية وتوضيح الأسس التي يبنى عليها من جهة، ومن جهة أخرى نهدف إلى تقييم بعض النماذج المنجزة في إطار المعجم التاريخي للّغة العربية.

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدناها في هذا البحث:

- المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج) لمحمد حسن عبد العزيز الذي كان مدونة هذا البحث.
- المعجم اللغوي التاريخي لأوغيست فيشر.
- مناهج البحث في اللغة والنحو لنادية رمضان النجار.
- المستشرقون والمناهج اللغوية لإسماعيل أحمد عمايرة.

أما الصعوبات التي واجهتنا في هذا البحث هو عدم توفّر في مكتبتنا المصادر الأصلية المتعلقة بالمعجم التاريخي للّغة العربية، وكذلك عدم وجود دراسات متنوعة عند الباحثين حول المحاولات المنجزة للمعجم التاريخي للغة العربية وهذا مقارنة بالمعاجم العربية الأخرى التي تمتاز بكثرة الدراسات عنها.

ولقد حاولنا من بحثنا المتواضع هذا أن نسلّط الضوء على الأسس المعتمدة لبناء المعجم التاريخي وكذلك دراسة النماذج ، فنرجو من الله أن نكون قد وفقنا في مسعانا الذي أردنا من خلاله لفت انتباه الدارسين والباحثين للاهتمام بجوانب هذا الموضوع لما له من أهمية بالغة في اللغة العربية.

الفصل الأول: مفهوم المعجم التاريخي للغة العربية وأسس بنائه

المبحث الأول: المنهج التاريخي، مفهومه، نشأته وأهم سماته .

المبحث الثاني: مفهوم المعجم التاريخي.

المبحث الثالث: أهم جهود العلماء لوضع أسس إنجاز معجم تاريخي للغة العربية.

المبحث الأول : المنهج التاريخي، مفهومه، نشأته وأهم سماته.

1- مفهوم المنهج التاريخي:

1-1- تعريف المنهج لغة واصطلاحا:

1-1- أ- لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور أنّ المنهج مشتق من :«نهج: طريق نهج بيّن واضح وهو النهج والجمع نهجات ونهج ونهوج، قال أبو ذؤيب:

به رجمات بينهن مغارمُ نهوج، غلبات الهجائنِ فيحُ

وطرق نهجة وسبيل منهج: كنهج، ومنهج الطريق:وضحه، والمنهاج كالمنهج، وأنهج الطريق: وضح واستبان وصار نهجا واضحا بيّنا»[1].

وجاء في مختار الصحاح الرازي :« النهج بوزن الفلس والمنهج بوزن المذهب(المنهاج) الطريق الواضح (نهج) الطريق أبانه وأوضحه (نهجه) أيضا سلكه وبابها قطع»[2].

يتبيّن لنا من هذين القولين أنّ: المنهج هو الطريق الواضح البيّن الذي لا إبهام فيه ولا غموض.

كما ورد في القرآن الكريم كلمة منهاج - التي هي من المنهج- في قوله تعالى:﴿... لِكُلٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ الآية 48 من سورة المائدة.

حيث جاء في تفسير ابن كثير لهذه الآية أنّ«الشرعة هي السبيل أمّا المنهاج فهو السنّة والسنّة هي الطرائق، ومعناه لكل جعلنا (القرآن) منكم (أيّتها الأمة) شرعة ومنهاجا: أيّ هو لكم

[1]- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مجلد 13، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ط 4، ص 356.

[2]- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2007، ط1 ص 308.

ككلكم تقتدون به،أي جعلناه شرعة ومنهاجا، أي سبيلا إلى المقاصد الصحيحة وسنة وطريقا ومسلكا واضحا بيّنا».[1]

ومنه نستنتج أنّ المنهج هو الاقتداء بطريق أو مسلك ما، وهذا الطريق يكون واضحا وبيّنا.

1-1- ب- اصطلاحا: عرّف المنهج بعدة تعريفات من أهمها:

- المنهج هو«الطريقة أو الأسلوب وفي اللّغة الفرنسية هو(méthode)، فالقصد من هذا المصطلح هو الطريق أو السبيل أو التقنية المستخدمة لعمل شيء محدد، أو هو العملية الإجرائية المتّبعة للحصول على شيء "ما" أو موضوع ما»[2]، فالمنهج إذن هو النسق الذي يتّبعه الباحث للبحث في موضوع محدد، كما أنّه الطريقة التي تمكّن الباحث من الوصول إلى الحقيقة معتمدا في ذلك على خطّة لبلوغ النتيجة المرجوّة، وهذا واضح أيضا في التعريف التالي:

- تعني كلمة منهج« مجموعة من القواعد والقوانين التي تسيّطر على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة في موضوع من الموضوعات أو بعبارة أخرى تحدد للعلماء الطريقة التي يسلكونها في بحثهم»[3] .

فالمنهج هو الذي يرسم للباحث في أي مجال الخطوات العقلية التي يتبعها، وعلى هذا فالطريقة الوحيدة التي تدفع الباحث للوصول إلى الحقيقة في شتى العلوم والموضوعات هي اختيار منهج محدد وفق قواعد محددة.

- عرّف محمود سليمان ياقوت المنهج بأنّه:«البرنامج الذي يحدد لنا السبيل للوصول إلى الحقيقة أو الطريق المؤدي إلى الكشف عنها في العلوم النظرية، والقواعد الموجودة في علم المنهج

---

[1]- ينظر، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، تح:سامي بن محمد السلامة، ج 3، (المائدة الأعراف)، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، 1999، ط4، ص 129.

[2]- اليوم الدراسي حول المناهج (مجلة)، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر،ع خاص، الجزائر 2011، نصيرة زيد المال، منهج البحث اللغوي بين التراث والمناهج اللغوية، ص 263.

[3]- يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2004، د ط ، ص 11.

"Methodology" لا تعني قتل روح الإبداع لدى الباحث لأنّها ليست قيدا على فكره أو محاولة الإثقال عليه، وإنّما يأخذ بها على سبيل الاهتداء وهي قابلة للإضافة والتعديل حتّى تكون متوافقة مع موضوع البحث وعرضة للتغيير حسب التطور الذي يحدث في العلم والجديد الذي يطرأ عليه»[1].

نفهم من هذا القول أنّ المنهج هو الطريق الذي يسلكه الباحث من أجل الوصول إلى هدف أو بلوغ حقائق علمية لم تكن معروفة من قبل وهذا الطريق يحمل في طياته جملة من القواعد التي يجب على الباحث اتّباعها في بحثه، وإنّ هذه القواعد عبارة عن توجيهات عامة يهتدي بها الباحث وهي تتنوّع بتنوّع العلوم والموضوعات والأهداف وقابلة للتغيّر والتطوّر عبر الزمن.

وفي الأخير يمكننا القول أنّ المنهج هو الطريقة الخاصة التي يتبعها الباحث وفق معالم وقواعد معيّنة لبلوغ الحقيقة وليس هناك منهج واحد، بل لكل عمل أو مادة أو حتّى لكل باحث منهجه الخاص، لهذا اختلفت المناهج تعدّدت بين العلماء وفي مختلف العلوم.

1-2- تعريف التاريخ لغة واصطلاحا:

1-2-أ-لغة: يقول الجوهري أنّ: « التأريخ : تعريف الوقت، والتوريخ مثله، وأرّخت الكتاب بيوم كذا وورّخته بمعنى»[2]،كما يقول الزبيدي :«أرخ الكتاب بالتخفيف وقضيته كنصر، وأرّخه بالتشديد وآرخه بمد الهمزة (وقته) أرخا وتأريخا ومؤارخة ومثله التوريخ، وزعم يعقوب أنّ الواو بدل الهمزة»[3]

[1]- محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2003، دط ، ص 82.

[2]- إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، ج 1، دار الكتب للملايين، بيروت، 1990، ط 4، ص 418.

[3]- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 7، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1994، ط 2، ص 226.

كما ورد في المنجد في اللغة والأعلام أنّ « التأريخ والتاريخ (ج تواريخ): تعريف الوقت: يقال تاريخ الشيء أي وقت حدوثه»[1].

نفهم من كل ما سبق أنّ التوريخ هو التاريخ وهو الإعلام بالوقت و تحديد الزمن، كما أنّ التأريخ يحمل نفس الدلالة والتاريخ وكلاهما يهتمان بناحية تعيين وتوقيت حدوث الشيء.

1-2-ب-اصطلاحا: إنّ التاريخ هو عبارة عن كشف أحداث الماضي والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية المتعلقة بالإنسان، وهو بذلك يعتبر ميدان من ميادين المعرفة الإنسانية ويبحث في تطوّر الإنسان ومختلف الحوادث التي ترافقه على مرّ العصور، وفي هذا السياق يقول ابن خلدون: «إنّ فن التاريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشد إليه الركائب والرحال .... إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومباديها دقيق وعلم بكيّفيات الوقائع وأسبابها عميق»[2].

فابن خلدون اعتبر التاريخ فن من الفنون الإنسانية الذي لا يكتفي بذكر الأخبار وسرد الوقائع عبر الزمان، وإنّما ينظر بتمعّن في تفسير هذه الوقائع والتدقيق في نقل الأخبار وتعليل أسباب حدوث الوقائع تعليلا معمقا.

ومنه نستطيع القول أنّ صناعة هذا التاريخ وتسجيله لا بد له من مؤرّخ يدرس الآثار المختلفة عن الماضي(وثائق، مخطوطات، نقوش، نقود،...إلخ) ويفسّر بواسطتها الظاهرة المدروسة حاليا، فيوجب على المؤرّخ هذا أن« يحمل في ذهنه كل الأخبار عن الماضي المحفوظ فيستطيع

[1]- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت،2002، ط39، ص8.

[2]- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار العلم للجميع، بيروت، د ت، د ط، ج1من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص 413.

أن يقارن بينها ويستخلص منها قوانينا وعبرا»[1].أيّ أنّ مهمة المؤرّخ (عالم التاريخ)لا تنحصر في تسجيل الأحداث والوقائع التاريخية وتأريخها، وإنّما يجب عليه دراستها ونقدها(إبداء رأيه) ثم يقوم باستخلاص القوانين التي تحكم هذه الوقائع.

وفي الأخير نستنتج بأنّ التاريخ هو علم من العلوم الإنسانية والإجتماعية ويعتمد بصورة أساسية على الماضي في دراسة ظواهر الحاضر.

1-3- تعريف المنهج التاريخي:

يعرّف صالح بلعيد المنهج التاريخي في قوله: « المنهج التاريخي يعني ذلك المنهج القديم الذي يعنى بالتطور الأساسي للفكر الإنساني التطوّر في بروز الوعي التاريخي، فلا يعالج النص في ذاته بل ينظر إلى تطوّره عبر الأزمنة التاريخية فقط. أي يبحث في اللّغة بحثا تاريخيا ويحاول حصر التغيرات التي تصيب اللّغة على مرّ العصور وينظر في أصواتها وأبنيتها وتراكيبها ونظامها والتماس أسباب التغيّر، فالمنهج التاريخي هو منهج حركي تطوّري يستند إلى التاريخ في تلمس حقيقة الظواهر والأحداث وربطها بالظاهرة المدروسة، والتحقيق الدقيق بين مصداقية البيانات والمقولات ومراعاة تلك التطورات الحاصلة في اللّغة منذ ظهورها»[2].

فالمنهج التاريخي إذن لا يهتم بالبنية الداخلية للغة وإنما يبحث في التغيرات والتحولات التي تصيب ظاهرة لغوية ما في لغة ما، ولا يكتفي بدارستها في مرحلة زمنية محددة وإنّما يدرس تغيّرها باستمرار من أجل رصد التطوّر اللغوي الحاصل فيها وإثبات القوانين التي تحكم هذا التطوّر في مختلف المستويات(الصوتية، الصرفية، النحوية والدلالية)، كما يتبّين من هذا القول في حركية

[1]- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ،الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول، ج 1، المركز الثقافي العربي الجزائر، 2012، ط 5، ص 39.

[2]- ينظر، صالح بلعيد، في المناهج اللغوية والمنهجية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، الجزائر 2014، د ط، ص 60.

وتطور المنهج التاريخي أنّه يعتمد أساسا على الزمان، أي أنّ الظاهرة اللّغوية في تغيّر وتطوّر مستمر لذا لابد من تتبّعها وتفحّص تاريخها.

ومنه فيجب على الباحث التاريخي في دراسته للظاهرة اللّغوية أن:« يحاول أولا التوفير لنفسه أقدم المصادر التي استعملت لهذه الظاهرة، فقد يبدأ بالنقوش المكتوبة ثم بالدواوين الشعرية... وهكذا حتّى يصل إلى آخر مجالات استعمالاتها الراهنة، ومن خلال هذه الرحلة الطويلة يصف الكلمة صوتا وصرفا ومعنا وسياقا، ثم يهتّم بالتغيرات التي طرأت عليها، وهو في ذلك يرسم للظاهرة اللغوية خطها البياني من حيث الاستعمال: قلة وكثرة، حياة وموتا ثم يحاول أن يتبيّن القوانين التي تحكم مسار الظاهرة والعوامل اللفظية والحضارية التي قد أثرت فيها أو تؤثر فيها أو سوف تؤثر فيها»[1].

نستنتج مما سبق أنّ الباحث التاريخي أثناء دراسته للّغة يهتم أولا بالمراحل المبكرة في تاريخ كل لغة أو ظاهرة، أيّ يعتمد على أقدم المراحل المتوفرة لها، وهذا بدوره ما يعطي صورة واضحة لتاريخ الحياة اللغوية، ثم يهتم بعد ذلك بالمراحل الحديثة لها، كما نستنتج أنّ الدراسة التاريخية التي يقوم بها الباحث لابدّ أن تسبقها الدراسة الوصفية لها خلال المراحل المختلفة التي تمرّ بها الظاهرة اللّغوية، وهذا ما يجعلها تقوم على أساس علمي سليم ويكسبها درجة عالية من الدقة والإتقان، أيّ أنّ الباحث التاريخي لابدّ عليه أن يعتمد على المنهج الوصفي في دراسته التي تقوم على المنهج التاريخي، كما يجب عليه أيضا الربط بين الظاهرة اللغوية المدروسة والعوامل والظروف المؤثرة فيها والمفسرة للتطور الذي يصيبها، وهذه العوامل منها:الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية...إلخ.

[1]- ينظر، إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، دار وائل للنشر، عمان،2002،ط 3،ص 21.

ومن كل ما سبق نستنتج بأنّ المنهج التاريخي أثناء دراسته لظاهرة لغوية ما يمر بثلاث مراحل وهي:

1- تحديد المشكلة أو الظاهرة التي يريد دراستها.

2- تعيين مصادر المعلومات التي تتعلق بالظاهرة المدروسة من وثائق، سجلات، آثار...إلخ.

3- نقد المعلومات، أيّ تقديم رأي الباحث الذي قد يكون مخالف، ومن ثمّة يحاول وضع قانون يفسر وفقه تصوّر تلك الظاهرة أو المشكلة.

2- نشأة المنهج التاريخي:

فحديثنا عن نشأة هذا المنهج وتطوره فإنّ ميلاه الأصلي كان في أوروبا وبهذا يعتبر المنهج التاريخي«أقدم منهج عرفه اللغويون الأوروبيون وهذا منذ أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، ويعدّ جاكوب غريم(Jacope Grime) 1783-1863 مؤسس علم اللّغة التاريخي عندما بدأ البحث اللغوي بالرجوع إلى اللّغة السنسكريتية باعتبارها المرشد الوحيد والصحيح للباحث، ومن هذا كله أخذ علم اللّغة الحديث بالظهور في مطلع القرن التاسع عشر في صورة دراسات تاريخية مقارنة أي دراسة اللّغة تاريخيا.»[1]،أيّ أنّ اللّغة السنسكريتية هي التي فتحت المجال للدراسات التاريخية المقارنة باعتبارها لغة أم (Lange mère) بالنسبة للغات الهند أوروبية، كما أنّ الدراسة التاريخية لابد لها من الدراسة المقارنة التي تبحث في أصل اللّغات واكتشاف الأسر اللّغوية المختلفة.

ولهذا اعتبر المنهج المقارن جزءا من المنهج التاريخي ولا يمكن الاستغناء عنه في الدراسة التاريخية، وهذا ما أكده عبد الجليل مرتاض في قوله:« المنهج المقارن شرط من شروط تاريخ

[1]- صالح بلعيد، في المناهج اللّغوية وإعداد الأبحاث، دار هومة، الجزائر، 2005، د ط ،ص 41.

اللّغات وأنّه من غير الممكن إعادة بناء تاريخ اللغة أو مراحل ما قبل أدبيتها إذا لم نتمكن من مقارنة هذه اللّغة باللّغات المتواشجة أو ذات النسب الواحد»[1]

كما شهد علم اللّغة في هذا القرن تأثرا كبيرا بنظرية داروين وكان من أهم المتأثرين بها هو« اللغوي سلايشر (1821-1868) الذي كان متخصصا أيضا في العلوم البيولوجية، أعجب بآراء داروين في تطور الكائنات وألّف كتاب(نظرية داروين وعلم اللّغة)، وقد عدّ نفسه عالما طبيعيا يبحث في اللّغة لا بوصف مظهرها الخارجي بل بتأريخ جزئيات ظواهرها وتحليل نشوء هذه الجزئيات بقوانين ثابتة، كما حاول تصنيف اللّغات إلى أسر على غرار ما رآه في علماء النبات في تصنيفهم للنباتات».[2]

فمن خلال نظرية داروين أصبح اللّغويون يدرسون اللّغة دراسة طولية، أيّ مراقبة التغيّرات والتطورات التي تحصل للظاهرة اللّغوية في شتى العصور ثم استنتاج القوانين التي تحكم مسارها، وكذا أصبح اللّغويون ينظرون إلى اللّغات على أنّها كائنات حية(تولد، تنمو،تشيخ وتموت) يمكن تصنيفها إلى عائلات وأسر، وهذا ما أدّى إلى تصنيف العديد من اللغات إلى أسر لغوية مثل: اللغات الهندوأوروبية، اللّغات السامية...إلخ.

ومنه فإنّ ظهور المنهج التاريخي وانتقاله كمنهج قائم بذاته كان سنة 1870 مع ظهور التيار الجديد المسمّى " النحاة الجدد"، أمّا نشأة المنهج التاريخي عند العرب فإنّه «لم يتيسر للعربية في الماضي دراسات تاريخية لغوية ذات شأن، فقد تركّزت شؤون اللغويين على دراسة اللغة إلى عصر الاحتجاج اللغوي، أي من العصر الجاهلي مرورا بصدر الإسلام وانتهاء بحوالي 150هـ ... وذلك بقصد إيجاد معايير ثابتة للّغة تلتزم بها الأجيال الناطقة بالعربية في العصور اللاحقة

[1]- ينظر،عبد الجليل مرتاض،التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومة، الجزائر:2005، د ط ،ص 65.

[2]- ينظر، نادية رمضان النجار، مناهج البحث في اللّغة والنحو، مؤسسة حورس الدولية، القاهرة، 2014، ط 1 ص 102/101.

وتكون معايير عصر الاحتجاج حجة يسار عليها في الاهتداء إلى الفصحى، أما العصور التالية لعصر الاحتجاج فلم تحظ بدراسات تفصيلية مهمة بل كان الاهتمام بها حشية على اهتمامهم بلغة عصر الاحتجاج»[1].

أيّ أنّ العرب القدماء لم يعتمدوا على المنهج التاريخي في دراستهم للغة العربية بل طغى المنهج المعياري الثابت على دراساتهم، والسبب في ذلك هو اعتبار اللّغة العربية لغة القرآن الكريم والسنّة النبوية والحفاظ على هذه اللّغة هدف أسمى يجب تحقيقه، أما حديثا فإنّ دخول المنهج التاريخي إلى اللّغة العربية كان عن طريق المستشرقين الذين درسوا اللّغة العربية وحاولوا أن يجلبوا لها الجديد الذي شهدوه في اللّغات الأوروبية.

3- سمات المنهج التاريخي:

يتميّز المنهج التاريخي بمجموعة من السمات التي تميّزه عن غيره من المناهج سنذكر أهمها:

أ- الاهتمام بالمكتوب: حيث يعتمد الباحث اللغوي المطبّق للمنهج التاريخي على ما هو مكتوب ومدوّن، وذلك كون اللّغة المكتوبة أوثق وأثبت في البحث، ولا يعتمد على المنطوق الذي يزول بمجرّد الانتهاء من الحديث، وهذا ما تفطن له اللغويون منذ القديم وعلى رأسهم الجاحظ حيث قال:« القلم أحد اللسانين... وقالوا القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا، وقالوا اللسان مقصور على القريب الحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب وهو للغابر الحائن مثله للقلم الراهن، والكتاب يقرأ بكل مكان ويدرس في كل زمان، واللسان لا يعدو سامعه ولا يتجاوزه إلى غيره»[2].

---

[1]- إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللّغوية، ص 23.

[2]- أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ، البيان والتبيين، تح و نشر: علي أبو ملحم، مجلد 01، دار مكتبة الهلال، بيروت، 2000، د ط، ص 85.

فهذا المنهج وإن كان لا يغفل المنطوق في بعض الأحيان إلاّ أنّ الجزء الثابت هو الذي يستحق الدراسة، لذا فهو يعتمد على المكتوب على الأحجار والصخور والنقوش القديمة والبقايا الأثرية... وكذلك يعتمد على النصوص والوثائق والمستندات التاريخية والسجلات والتقارير الصحفية والتراجم وغيرها.

ب- الاهتمام بالصوتيات: لقد أولى المنهج التاريخي اهتماما كبيرا بالصوتيات خاصة عند " النحاة الجدد"، وهذا ما نتج عنه ميلاد الصوتيات التجريبية وبذلك يقول عبد الرحمن الحاج صالح أنّ: «الذي ساعد على نشوء هذه الصوتيات هو أمران: الأول هو التفات اللغويون إلى ما ترجم من كتب الهنود في تحليل الأصوات اللّغوية واكتشافهم فيها للمفاهيم الكثيرة التي لم يكن لهم عهد بها وكذلك ما نُقل من كتب النحو والتجويد العربية، والثاني هو اهتمام بعض الفيلولوجيين بالمخارج وكيفية حدوث الحروف»[1].

فالمنهج التاريخي إذن يهتم بالجانب الصوتي من اللّغة أي أنّه يدرس حركة الأصوات والتحولات الصوتية في مختلف اللغات، وهذا الاهتمام راجع إلى كون الهنود كانوا يهتمون بالنطق الصحيح لّلغة السنسكريتية في تلاوة الفيدا باعتبارها لغة نصوص مقدسة، فوضعوا بذلك قوانين لتجويد قراءتها، وهذا بالمثل ما فعلوه القراء والنحاة العرب في الحفاظ على النطق الصحيح للنّص القرآني الكريم وتلاوته وفهمه وكذلك اهتمام الفيلولوجيون بمخارج الأصوات وطريقة نطقها.

ج- التأثر بالمنهج الحسي التجريبي: حيث أشار عبد الرحمان الحاج صالح إلى هذا المذهب إلى أنّه «أخذ به العديد من الفلاسفة واللّغويين من بينهم: جون ستيوارت ميل Jean Stwart mill(1806-1873) وأوغيست كونت August Conte(1798-1857)، والذي ساد في القرن

[1]- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2007، د ط، ص130/129.

التاسع في أوروبا، بحيث أصبح هذا المذهب ينبذ الأمور غير المعتمدة على الحس والامتناع عن الأمور التي لا يمكن مشاهدتها والتحقق من وجودها، وعند ازدهار هذه المدرسة التجريبية صارت مؤلفات أصحابها هي المرجع الأساسي في اللسانيات التطوّرية»[1].

نستنتج مما سبق تأثر المنهج التاريخي بالمنهج التجريبي الذي لا يأخذ ولا يدرس إلاّ الظواهر القابلة للحس والمعرفة المباشرة، ومنه فقد أُخضع المنهج التاريخي للتجربة العلمية وأصبح يهتم بكل البنيات الظاهرة للغة (الصوتية،الصرفية،النحوية،الدلالية) ووضع لها قواعد وقوانين.

د- الاهتمام بتطوّر دلالات الألفاظ: حيث اهتم المنهج التاريخي بهذا النوع من الدراسات وأصبح لها « علما قائما بذاته و هو ما يسمى بـ etymology أو الإتملوجيا (التأصيل)»[2].

فهذا العلم يهتم بإرجاع الألفاظ المعزولة عن سياقها إلى أصولها الأولى، أي أنّه يقوم بدراسة الأصل التاريخي للكلمات والتمييز بين الأصل والفرع من اللّغات، وهو يختلف عن المنهج التاريخي الذي يدرس الألفاظ في سياقها وخارج سياقها، ومن خلال الاهتمام بدراسة تطور دلالة الألفاظ توجه اللغويون إلى وضع معجم تاريخية تأصيليّة ضخمة مثل: معجم أكسفورد للغة الإنجليزية.

[1]- ينظر،عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللّسان، ص 128/127.

[2]- محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، ص 109.

المبحث الثاني: مفهوم المعجم التاريخي.

1- المعجم التاريخي:

1-1- تعريف المعجم لغة واصطلاحا:

1-1- أ- لغة: المعجم اسم مشتق من الأصل (ع.ج.م)، والأصل في مدلوله أن يأتي للإبهام والغموض وفي هذا يقول الزمخشري:«باب الأمير معجم أي مبهم مقفل»[1]، وبدخول الهمزة على عجم تصير أعجم، يعني أنّ كلمة معجم مأخوذة من أعجم التي تدّل على الإيضاح والبيان وهي التي تزيل اللبس والإعجام، حيث قال الأزهري في ذلك :«معجم الخط هو الذي أعجمه كاتبه بالنطق، تقول أَعجَمتُ الكتاب أَعْجُمه إعجاما، ولا يقال عَجَمتُهُ... وقال الليث:المعجم: الحروف المقطّعة سميّت معجما لأنّها أعجمية، قال وإذا قُلت كتاب معجم فإنّ تعجيمَه تنقيطُه لكي تستبين عُجمته وتضح»[2].

نفهم من هذا القول أنّ كلمة معجم أصبحت تدّل على إزالة العَجمة ،أيّ الابهام والالتباس من الحروف وذلك بتنقيطها حتى تستبين وتتضح، وبذلك سميت حروف العربية حروف المعجم أي الحروف التي أعجمت ونُقّطت فزال منها اللبس والغموض.

كما عرّف المعجم على أنّه « كتاب اللّغة وما يعرفونه بالقاموس، وأصله من أعجم الكلام أو الكتاب أي أزال عُجمته وإبهامه وفسّره، حروف المعجم الحروف الهجائية»[3].

أيّ أنّ المعجم هو ما دل على الإفصاح والإبانة والإيضاح وهو الذي يزيل الإبهام والإخفاء.

---

[1]- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح : محمد باسل عيون السود، ج 1 دار الكتب العلمية، بيروت: 1998، ط 1، ص 636.

[2]- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح : عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي النجار، مجلد 01، د ط، د ت، ص 391-392.

[3]- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، ص 489.

1-1- ب-اصطلاحا: كلمة معجم هي مرادفة للكلمة الأجنبية Dictionary، حيث يعرّف على أنّه: « كتاب أو مرجع يشتمل على كلمات أو مفردات لغة معينة، مرتبة ترتيبا خاصا، ويكون في الغالب على حروف الهجاء مع تعريف كل منها وذكر معلومات عنها من صيغ ونطق واشتقاق ومعان واستعمالات مختلفة، فيتتبعها في أحوالها اللفظية والمعنوية»[1].

أيّ أنّ المعجم يضم بين دفتيه أكبر قدر من مفردات لغة ما ويعتمد في ترتيب مواده ترتيبا معينا، إما ترتيب هجائي أو أبجدي أو صوتي أو حسب المعاني والموضوعات...إلخ، إلاّ أنّ معظم المعاجم تعتمد على الترتيب الهجائي (الألفبائي)، كما يقوم المعجم بشرح هذه المفردات وتفسير معانيها وتبيين اشتقاقها وطريقة نطقها وضبطها.

كما يعتبر المعجم« حصيلة تاريخ المجتمع وتجاربه من جوانبه المختلفة الحضارية والثقافية والاقتصادية والفكرية والاجتماعية»[2]، ومن هذا يمكن اعتبار المعجم صورة أساسية في صناعة التاريخ، لأنه بدوره يبين الحالة التي كانت تعيشها الأمم والمجتمعات في عصر ما في مختلف المجالات التي ترافق الإنسان، وكذا يبيّن الحالة التي وصلت إليها المجتمعات وبذلك يمكن اعتبار المعجم تراثا ثقافيا وشهادة مادية للحضارة.

كما نستطيع القول إنّ مصطلح قاموس أصبح مرادفا للمعجم، وهذا ما أشار إليه حسين نصار في قوله:« سميت المعاجم باسم آخر لا شك فيه وغموض هو القواميس وأتاها هذا الاسم

[1]- سناني سناني، في المعجمية والمصطلحية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان: 2012، ط 1ص 21.

[2]- عبد العلي الودغيري، دراسات معجمية نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى، مطبعة النجاح الجديدة فاس: 2001، ط 1، ص 01.

من تسمية معجم الفيروز آبادي بالقاموس المحيط... ثم اشتهر هذا الاستعمال حتى أصبح مرادفا لكلمة معجم لغوي وأُطلق على جميع المعاجم اللّغوية الأخرى المتقدمة والمتأخرة»[1].

ومنه فإنّ هذه المعاجم تختلف وتتعدّد حسب الغرض الذي أُلّفت من أجله، ولهذا فإنّ المعجم ينقسم في العموم إلى نوعين هما:

1- المعجم اللغوي: أو ما يسمى بمعجم المفردات أو المعجم العام، وهو الذي يشتمل على كل مفردات اللغة دون تمييز.

2- المعجم المتخصص: أو ما يسمى بمعجم المصطلحات، والذي يضم المعجم العلمي والمعجم التقني، وهو يقوم بإحصاء مصطلحات علم من العلوم أو تقنية.

أما المعجم التاريخي هو الذي يجمع بين اللغة والاختصاص بالإضافة إلى تأريخه للألفاظ.

1-2- تعريف المعجم التاريخي:

حيث يطلق عليه عدّة تسميات منها: المعجم الشامل،المعجم العام،المعجم الجديد، ومنه فإنّ المعجم التاريخي هو صنف من المعاجم الذي يعطي تاريخ كل كلمة في اللّغة ويتتبّع التغيّرات والتطورات التي تحصل لها طيلة المراحل التي مرت بها، ويعرّفه البوشيخي بقوله: «يقصد بالمعجم التاريخي ذلك المعجم الذي يؤرخ لحياة الألفاظ التي يتضمنها منذ ولادتها حتّى آخر استعمال لها أو موتها، متتبعا التطور الذي طرأ عليها، ولا سيما الدلالي (اتّساعا وضيقا واستقرارا واضطرابا) والاستعمالي(كثرة وقلة، ومكانا وزمانا وميدانا) وغنيّ عن البيان أنه معجم أولا، فيه ما في المعاجم من مقومات المعجمية شكلا ومضمونا، ثم تاريخي ثانيا»[2] .

[1]- حسين نصار، المعجم العربي نشأته و تطوره، ج 1 ، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1988، ط 4، ص 11.

[2]- الشاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، مطبعة آنفو-برانت، فاس، 2002، ط 1 ص 06.

نستنتج إذن أنّ المعجم التاريخي يعطي لكل الألفاظ تاريخها الخاص، وذلك منذ أوّل ظهور لها حتى آخر استعمال لها أو انقطاعها، ثم يتتبّع التطور الذي يحدث على هذه الألفاظ سواء من الجانب الدلالي، وذلك من خلال اتّساع المعنى أو تخصيصه أو بقائه على حاله أو تغير معناه، ويتتبع أيضا الجانب الاستعمالي للألفاظ وذلك حسب كثرة استعمالها أو قلته وتحديد الزمان والمكان التي تستعمل فيه، ومدى استعمالها بالفعل، ومنه فإن هذا المعجم التاريخي يفيدنا بالعديد بالمعطيات الدلالية والاستعمالية للألفاظ التي لا تستطيع تحديدها.

كما عرّف المعجم التاريخي على أنّه: « نوع من المعاجم يرمي إلى تزويد القارئ بمعلومات عن أصل الألفاظ وتاريخها ومعانيها من خلال تتبع تطورها منذ أقدم ظهور مسجل لها حتى يومنا هذا»[1].

نفهم من هذا القول أيضا أنّ المعجم التاريخي يمكن الاستفادة منه في معرفة الأصل الحقيقي للفظ (معرفة أصل اللفظ الذي يكون قد اقترض من لغة أو عدة لغات) وتاريخه وكذلك تطوّر معانيه عبر التاريخ، وهذا كله يستلزم العودة إلى أوّل مرة تمّ فيها تسجيل اللفظ وبالتالي العودة إلى أقدم المصادر التي تمّ فيها استعمال اللفظ، وهذه المصادر تتمثل في النقوش والمخطوطات والنقود...إلخ، كما يتّضح لنا من هذا القول أنّ المعجم التاريخي يرتّب معاني الألفاظ ترتيبا تاريخيا يعتمد على أسلوب التدرّج التاريخي لمعاني الألفاظ، أي أنّه يورد المعنى الأقدم للفظ أولا ويؤرخ سنة ظهوره مع التدعيم بشواهد من النصوص المكتوبة، ثم يأتي بالمعنى الثاني له ويؤرخ سنة أو فترة ظهوره مع التدعيم بشواهد أيضا، إلى آخر مراحل استعماله أو موته.

[1]- اليوم الدراسي حول المناهج (مجلة)، فرحات بلولي، في جدوى المنهج التاريخي،قراءة في الأبجديات والمزالق، ص 165.

ومن الأقوال السابقة نستخلص بعض ما يميّز المعجم التاريخي لأي لغة من اللّغات من خصائص:

- اشتمال المعجم التاريخي على كل الألفاظ الموجودة في اللغة سواء كانت مستعملة أصيلة أو معربة أو دخيلة،

- التسجيل الدقيق لتاريخ الألفاظ على أساس الشواهد المؤرخة التي يمكن استنباطها من النصوص.

- التحديد الدقيق للكلمات وذلك باستمرارها أو اختفائها أو تطوّرها.

- تنوّع مصادر المعجم التاريخي والتي تتمثل في المخطوطات والنقوش والتسجيلات والوثائق والسجلات وغير ذلك مما ينتمي إلى فترة سابقة من حياة اللغة.

- دراسة تاريخ الألفاظ من أول ظهور مسجل لها حتى يومنا هذا.

- دراسة معنى اللفظ عبر الأزمنة لا يكون عند اللغويين والأدباء فقط بل يكون في مختلف المجالات والعلوم مثل الفلسفة،الطب،الفيزياء،الدين،العلوم الطبيعية،التاريخ...إلخ.

أما حديثنا عن وضع معجم تاريخي للّغة ما يعتبر«من أهم الإنجازات المعجم في العصور الحديثة، ومن العلماء من يرى أن منتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجما تاريخيا»[1]. ويمكن الإشارة إلى أنّ أوّل معجم تاريخي أنجز في العالم هو معجم أكسفورد الإنجليزي الذي «استغرق العمل فيه أكثر من نصف قرن حيث بدأت فكرة تنفيذه سنة 1858 وصدر سنة 1961 تحت

[1]- ابن حويلي الأخضر ميدني، المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني والنظريات التربوية الحديثة ،دار هومة ، الجزائر، 2010، د ط، ص 109.

عنوان: معجم أكسفورد للغة الإنجليزية في اثني عشر جزءا The oxford English Dictionary in twelve volumes».[1]

فأصبح هذا المعجم بعد ذلك يعد من أضخم وأشمل المعاجم التي أنجزت في العصر الحديث لما تميّز به بصفات لم يسبق لها في التاريخ وهذا ما أشارت إليه يمينة مصطفاي في قولها أنّ:« هذا المعجم أصبح يغطي مفردات اللّغة الإنجليزية تغطية شاملة بطريقة لم يسبق لها مثيل في تاريخ اللغة فهو يذكر مع كل كلمة معانيها عبر التاريخ موضحة بشواهد مؤرخة من سنة 1150 حتى صدور آخر طبعة في سنة 1971»[2]، أي أنّ هذا المعجم رصد جميع مفردات اللغة الإنجليزية من أول ظهور لها وهو فترة ميلاد اللغة الإنجليزية التي هي من الأصل اللاتيني إلى آخر استعمال تلك المفردات والتي تتمثل في آخر طبعة أخرجها المعجم.

وبعد هذا المعجم توالت المعاجم التاريخية في أوروبا منها: المعجم التاريخي للغة الفرنسية ومعجم غريم الألماني وغيرها من المعاجم.

2 -علاقة المنهج التاريخي بالمعجم التاريخي:

إنّ علاقة المنهج التاريخي بالمعجم التاريخي هي علاقة تكاملية إذ لا يمكن وضع معجم تاريخي للّغة ما دون الاعتماد على المنهج التاريخي. وإنّ من أهم النتائج التي يخلفها المنهج التاريخي هي تلك المعاجم التاريخية الضخمة التي أنجزت في معظم اللّغات الأوروبية في القرن التاسع عشر،حيث كان « تطبيق المنهج التاريخي في صناعة المعاجم من أبرز سمات معجم اللّغة {الإنجليزية} في القرن التاسع عشر، فلقد حرص معجميو ذلك القرن على تسجيل تاريخ استعمال

[1]- ينظر، الممارسات اللغوية (مجلة)، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو،ع 15 2012، يمينة مصطفاي، أسس بناء المعجم التاريخي للغة العربية عند فيشر وتجربة معجم اللغة الإنجليزية (دراسة تقابلية)، ص 73/72.

[2]- المرجع السابق، ص73.

الكلمة مذيلة بالشواهد التي تثبت تاريخ استمالها وذلك تطبيقا لمعطيات علم اللّغة التاريخي التي تمّ التوصل إليها على أيدي الرعيل الأول من علماء اللّغة المحدثين مثل: راسك الدنماركي وجريم الألماني واضع أسس الدراسات اللغوية الحديثة»[1] .

فهذا القول متعلق بإفادة الثقافة الأوروبية من المنهج التاريخي، أما بالنسبة للغة العربية ما زالت لا تملك معجما تاريخيا، إلاّ أنها « يمكنها الاستفادة من هذا المنهج التاريخي في مجال الدراسات المعجمية للوصول إلى بناء معاجم لغوية تكمل معاجمنا القديمة، فالدراسة التاريخية تمكننا من الإفادة من عدة أمور... وكذلك بناء المعجم التاريخي التي تنشده الأمة العربية وهو الموسوعة الذي يفيد كافة الموضوعات»[2].

إذن فإنّ المنهج التاريخي هو الذي يسهم في إبداع المعاجم التاريخية التي تكمل معاجمنا العربية القديمة التي كانت يعتريها بعض جوانب النقص،لأنها كانت معاجم معيارية ووصفية لم تتناول الجانب التطوري والتاريخي للألفاظ، أي أنها لم تعتمد على المنهج التاريخي الذي يتتبّع حياة الكلمات أو التطور الذي يحصل لها على مرّ العصور حتى نصل إلى آخر استعمالاتها الراهنة.

ومنه يمكن الاستفادة من المنهج التاريخي في تأليف المعاجم اللغوية التاريخية التي تبيّن لنا أمور عديدة منها:

1- «الميز بين العربي الأصيل والمعرب أو الدخيل الذي وفد إلى العربية من لغات أخرى على مرّ العصور»[3]، فهذا المنهج هو الذي يمكنّنا من إرجاع كل الكلمات المستعملة في اللّغة العربية إلى أصولها الحقيقية،أي اللّغات التي قد تكون استعارت منها بعض الكلمات،لأنّه

---

[1]- الممارسات اللغوية (مجلة)، يمينة مصطفاي، أسس بناء المعجم التاريخي للغة العربية عند فيشر وتجربة معجم اللغة الإنجليزية (دراسة تقابلية)، ص 71.

[2]- صالح بلعيد، في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث، ص 46.

[3]- إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، ص 28.

في الحقيقة هناك العديد من الكلمات نعتبرها ملكا للغة العربية وإذا بحثنا عن أصولها نجدها مقترضة أو دخيلة عليها.

2- « تتبّع سيرة حياة اللفظ العربي عبر العصور الزمنية وتحديد ما طرأ عليها من تغيّر في الشكل والمضمون في كل عصر من عمر اللغة وبيان المعنى الحقيقي والمعنى المجازي فإن كثرت المعاني الحقيقية للكلمة أو المعاني المجازية سعى الباحث إلى تحديد الزمن الذي يعود إليه كل معنى من خلال العودة إلى أقدم النصوص وأوثقها وقد يستأنس بالجانب المقارن من المنهج التاريخي»[1].

ومنه فإن إنجاز المعجم التاريخي بالنسبة للّغة العربية يعتبر عملا سهلا، لأنّ العربية ما تزال موصولة الحاضر بالماضي ولم ينعزل عصر سابق عن عصر لاحق على عكس اللّغات الأوروبية. كما يتبيّن لنا من هذا القول أنه يمكن الاستفادة أيضا من المنهج المقارن في ضوء المنهج التاريخي في بناء المعجم التاريخي للغة العربية من خلال تأصيل المفردات(أصل الكلمات) ومعنى هذا أنّ :« المعجم التاريخي المنشود للغة العربية سيكون معجما تأصيليّا وتاريخيا ومقارنا في آن واحد، وهو بهذا التصور يحتاج إلى درجة عالية من التخصص في علوم اللّغة وفي اللّغات السامية واللّغات غير السامية التي اتّصلت بها اللّغة العربية عبر مراحل حياتها حتى الآن يضاف إلى ذلك حصيلة من النصوص الأدبية واللّغوية والدينية والعلمية منذ أقدم عصور العربية حتى اليوم، ولعل هذا هو السبب في تأخر المعجم اللغوي التاريخي للغة العربية»[2].

3-« التعرّف على المؤثرات التي تتحكم في سير حياة الألفاظ العربية من الجانبين:

---

[1]- ينظر،إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، ص 28.

[2]- حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية، بيروت، 1998، ط 1، ص 422.

أ- التعرّف على أسباب غياب الكثير من الألفاظ عن أفق الاستعمال اللّغوي أو انحسار بعضها.

ب-التعرّف على العوامل التي تتحكم في مستقبل الثروة المعجمية»[1].

أما حديثنا عن مدى تطبيق المنهج التاريخي في تأليف المعاجم اللغوية العربية فنستطيع القول إنّ المستشرقين هم أول من بادر إلى هذا العمل في اللغة العربية تأثرا بما شهدته لغاتهم الأوروبية من تأليف المعاجم التاريخية المتعددة، وهم الذين اكتشفوا جوانب القصور في المعاجم العربية القديمة وبهذا يقول إسماعيل أحمد عمايرة أنه: «لم يكن تنبّه المستشرقون في القرن التاسع عشر إلى هذا القصور آتيا من فراغ بل جاء مزامنا لظهور المنهج التاريخي في البحث اللغوي في ذلك القرن»[2].

ولعل أهم جهود المستشرقين في مجال التأليف المعجمي في ضوء المنهج التاريخي ما عمله المستشرق الألماني أوغيست فيشر August Ficher(1885- 1949) الذي قدم النموذج الأمثل للمعجم التاريخي للغة العربية،إذ يمثل سلوك المنهج التاريخي الهدف الرئيسي في معجمه، فقد كان صاحب التجربة الناضجة الأولى بين المعاجم العربية، إلاّ أنّ هذا المعجم لم يبلغ حظّه من الكمال ومات بموت صاحبه.

أما بالنسبة للعلماء العرب فمازالوا لم يستغلّوا المنهج التاريخي في بناء معجم تاريخي للغتهم بالرغم من الجهات التي حاولت إنجاز هذا المعجم ومازالت جهود ومشاريع العرب مستمرة إلى يومنا هذا.

[1]- ينظر، إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، ص 29/28.

[2]- المرجع السابق، ص 30.

المبحث الثالث: أهم جهود العلماء لوضع أسس إنجاز معجم تاريخي للّغة العربية

1- اللغة العربية والمعجم التاريخي:

لا شك أنّ اللغة العربية في حاجة ماسة إلى معجم تاريخي يكون ديوانا شاملا لمفرداتها ويقوم بتأريخ ألفاظها ومعانيها وتحديد أصولها الإشتقاقية والإقتراضية، ويبيّن التغيرات والتطورات التي تحصل لها عبر الأزمنة التاريخية، إلا أنّه في الحقيقة اللغة العربية ليس لها معجما تاريخيا بالرغم من أسبقية العرب في صناعة المعاجم القديمة واحتلالهم فيها مكان المركز وإبداع الكثير من الطرق سواء من حيث الترتيب أو التبويب أو طرق جمع المادة اللغوية، ومن هذه المعاجم مثلا: معجم العين للخليل بن أحمد الفراهدي،أساس البلاغة الزمخشري،لسان العرب لابن منظور...إلخ، ومع كل هذه المعاجم لم يستطع العرب في العصر الحديث إنجاز معجم تاريخي للّغة العربية، وبقي مشروعا يأمل في تحقيقه، ولهذا اعتبر محمد حسن عبد العزيز المعجم التاريخي للغة العربية «عبارة عن مشروع لغوي تنهض بإنجازه (هيئة المعجم التاريخي للغة العربية) وهي هيئة ذات شخصية اعتبارية مستقلة تابعة لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ومقرها القاهرة»[1] .

إذن الحديث عن المعجم التاريخي للغة العربية هو في الحقيقة الحديث عن مشروع للمعجم التاريخي الذي مازال قيد الانجاز بالرغم من المرسوم الذي جاء به المجمع اللغوي بالقاهرة عند افتتاحه سنة 1934 والذي نصّ على:«أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وأن ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ بغض الكلمات وتغيّر مدلولاتها»[2].

ولعل هذا المشروع الذي مازال قيد الانجاز له عدة أهداف لوضعه وإنجازه في اللغة العربية منها:

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز ،المعجم التاريخي للغة العربية(وثائق ونماذج)، دار السلام،القاهرة، 2008،ط1،ص 1.

[2]- حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج 1، ص 186.

- الإطّلاع على كلام العرب وألفاظهم سواء كان فصيحا أو مستهجنا أو نادرا.
- كشف الأصيل من اللغة العربية والمعرّب والدخيل.
- معرفة تاريخ ظهور الكلمات والمعاني المتعددة التي اكتسبتها على مرّ العصور أو انقطاعها.
- كون هذا المعجم شاملا فإنه يكون مصدرا لأنواع المعاجم الأخرى.
- البحث اللغوي الواسع وذلك بالرجوع غلى المصادر الأولى للتراث العربي والمتمثلة في نقش النمارة ثم العصر الجاهلي والإسلامي والأموي... إلى عصرنا الحاضر.

ولعل أوّل محاولة كما أشرنا سابقا لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية حسب اتفاق العلماء كانت من طرف المستشرق الألماني " فيشر"، الذي أبدى رغبته للمجمع في إخراج معجما ضخما على غرار معجم أكسفورد، وكانت جهوده في أحضان مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ولكن هذا المعجم لم يخرج إلى النور، فعند حلول الحرب العالمية الثانية ابتعد فيشر عن القاهرة حتّى أخذته المنية في بلده (ألمانيا)، وبقي المعجم أملا يسعى المجمع إلى استكماله اعتمادا على خطته التي بيّن فيها أهم سمات وخصائص المجمع التاريخي والذي اكتفى بتسميته" المعجم الكبير"، بحيث لم يصدر منه سوى المقدمة وبعض مادة الهمزة (أبد)، وبعد ذلك قرّر المجمع أن يطبع وينشر ما أعدّه فيشر من المعجم ونُشر بعنوان: المعجم اللغوي التاريخي وفي هذا السياق يقول عنه عضو من مجمّع اللغة العربية بالقاهرة: «بعد موت فيشر عرض رئيس المجمّع اقتراحا بأن يطبع هذا القدر الذي تتمثل فيه طريقة المؤلّف ومنهجه وبيان مراجعه،وكذلك يحتوي على مواد المعجم وأسلوب صياغتها وتفصيل معانيها، حيث أخرج المجمّع هذا القدر مطبوعا مرتين وبعد ذلك تمّ نشر الجزازات التي تركها فيشر على شكل بحوث»[1].

[1]- ينظر، محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج)، ص 55/34.

ومما سبق يمكن اعتبار المعجم التاريخي الذي ألفه فيشر أولى اللبنات الجادة في هذا المشروع، وبعد موته تلته عدّة محاولات ومبادرات لم تصل بعد إلى تحقيق المشروع الكلي المتكامل الذي تنشده لغاتنا العربية، رغم أنّ العرب أصبحوا في حاجة ماسة إلى هذا المعجم وأصبح اليوم ضرورة ملحّة في حياة وتاريخ اللغة العربية.

2- أهم المحاولات و الجهود لانجاز المعجم التاريخي للغة العربية:

2-1- **فيشر**: حيث يمثّل " فيشر" أول محاولة لبناء المعجم التاريخي للغة العربية، فبالرغم من عدم استكمال معجمه إلاّ أنه استطاع بهذا الجزء الصغير الذي تركه (مقدمة وبعض مادة الهمزة) أن يبيّن لنا الطريقة التي اتبعها في إنجازه لهذا المعجم، وكذا الأسس التي بُنيَ عليه معجمه، وقبل الحديث عن معجمه لابدّ من الإشارة إلى الدوافع التي أدّت به للعمل على وضع خطة لتأليف المعجم التاريخي، وهي في نظره تتمثّل في النقائص التي كانت تعاني منها المعاجم العربية القديمة وهي:

أ- «عدم معالجة المعاجم العربية القديمة للناحية التاريخية لمفردات اللغة واقتصارها على الاتجاه النموذجي لها»[1]. أي أنّ العرب أهملوا ناحية مهمة في الدراسة اللغوية تتمثل في ناحية التطور اللغوي على مختلف مستويات اللغة(الصوتية والصرفية والدلالية والأسلوبية) وهو ما يعيق اللغة من التقدّم والتطوّر.

[1]- أوغيست فيشر، المعجم التاريخي اللغوي، تصدير: إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، القاهرة،1967 ط 1،ص 07.

ب- «قصور المعاجم القديمة على الاستدلال بالشواهد»[1]، فبالرغم من أنّ اللغة العربية غنية بالشواهد(قرآن كريم،حديث نبوي،الشعر،الأمثال...إلخ) إلا أنّ المعاجم القديمة تكاد تخلو منها وهذا ما يؤدي إلى الشكّ في صحة موادها.

ج- «الخلط بين مستوى العربية الفصحى واللهجات القديمة في اللفظ والدلالة بالإشارة إلى ذلك في الكثير من الأحيان مثل: السراط، الصراط والزراط بمعنى الطريق»[2].

د- إهمال المعاجم العربية للترتيب التاريخي للكلمات والمعاني التي تحملها وهذا ما ينتج عنه اضطراب في ترتيب الكلمات وعدم الدقة في الشرح وتفسير معنى الكلمة.

ومن خلال هذا النقص الذي تتميّز به المعاجم العربية كانت رغبة فيشر الملحّة على إنجاز المعجم التاريخي متجنبا فيه كل قصور أخذ على المعاجم العربية، وبذلك بيّن لنا الأسس التي اعتمدها في معجمه والتي تمتاز عن المعاجم العربية بأشياء مهمة ومختلفة عنها ولا يقتدى بأسلوبها وهذه الأسس يمكن تصنيفها إلى أربع عناصر وهي:

الأساس الأول: مادة المعجم

فمادة المعجم هي مجموع الكلمات أو الوحدات المعجمية التي يعتمدها المعجمي في معجمه، وبذلك رأى فيشر أنّ مادة المعجم يجب أن تحتوي جميع الألفاظ والتراكيب المستعملة في اللغة العربية حيث قال:«يجب أن يشمل المعجم على كل كلمة بلا استثناء وجدت في اللّغة»[3]، فحدد مصادر المادة وطريقة جمعها كالآتي:

[1]- علي حسن مزبان، المعاجم العربية: دراسة وصفية تحليلية، دار شموع الثقافة، 2002، ط 1، ص 113.

[2]- المرجع السابق، ص 114.

[3]- أوغيست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي،ص 22.

1- **مصادر مادة المعجم:** اعتمد فيشر في جمع مادته على النصوص الأصلية من المصادر العربية دون الاعتماد على المعاجم إلا عند الضرورة أو انعدام وجود مصدر لأحد الكلمات التي يبحث عنها في المصادر الأصلية وفي ذلك يقول فيشر: « وردت في المعجمات العربية الكبيرة التي صنّفها العرب كلمات وتعابير ومعان لم أعثر على شواهد لها في الكتب التي بحثتها»[1].

حيث قام فيشر بذكر جميع المصادر التي اعتمدها والموجودة في مقدمته*، ورتبها ترتيبا ألفبائيا، وبلغت مصادره مئتين واثنين وتسعين مصدرا،وبذلك لم يقم بالتفريق بين المصادر الأصلية والمراجع الثانوية، كما اعتمد على عدد كبير من المصادر التي حققها المستشرقون دون غيرها.

أما الشواهد والمصادر التي اعتمد عليها فقد سلك فيها مسلك القدماء في الإيضاح والتفسير ورتّبت على النحو التالي:

«القرآن الكريم ، الحديث النبوي الشريف، النص الأدبي المنثور، الأمثال والشعر مؤثر منسوب منه على غير المنسوب والواضح على الغامض»[2].

هذه أهم المصادر التي اعتمدها فيشر في الاستدلال والاستشهاد بها في مادته وهذا لأنها تمثل المصادر الأصلية الفصيحة في اللغة العربية.

2- **طريقة جمع مادته:** لقد استعمل فيشر في جمع مادته طريقة خاصة وهي «طريقة استعمال البطاقات، وذلك بأن يفرد لكل كلمة و تركيب ومعنى بطاقة خاصة بها وتصمّم كما يلي:

---

[1]- ينظر، حسين نصار، المعجم العربي نشأته وتطوره، ج 2، دار مصر للطباعة، القاهرة: 1988، د ط، ص588.

* مقدمة فيشر، ص أ/ يز.

[2]- ينظر،أوغيست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي،ص27/8.

- على يمينها الكلمة المخصوصة بين هلالين كما هي في المصدر المنقولة منه،على يسارها يذكر الفعل الماضي إن كانت الكلمة المخصوصة فعلا والمفرد مرفوعا إن كانت الكلمة اسما، وفي أعلاها أصل الكلمة.

- وفي هذه البطاقة يذكر الجملة أو البيت الذي وردت فيه وتفسيرها وذكر قائلها والمصدر مع رقم الصفحة والسطر في النثر ورقم القصيدة أو القطعة أو البيت في النظم»[1].

وممّا سبق سنورد نموذجين على تصميم بطاقات فيشر، نموذج للأفعال من قصيدة أحمد شوقي البيت:

اختلاف النهار والليل يُنسي اذكرا لي الصبا وأيام أُنسي

نسى
(ينسي) معروف نسى
أحمد شوقي: قصيدة
البيت 01

ونموذج الأسماء من قصيدة أحمد شوقي في قوله:

كل دار أحق بالأهل إلاّ في خبيث من المذاهب رجسِ

ذهب
(المذاهب) مكان الذهاب: مذهب
أحمد شوقي: قصيدة
البيت 10

[1]- نادية رمضان النجار، مناهج البحث في اللغة والنحو، ص121.

وتجدر الملاحظة أنّ طريقة جمع مادة معجمه كانت ملائمة لروح عصره، ولكنها الآن قد تجاوزها الزمن في عصر تطور التكنولوجيا الحواسيب والكمبيوتر وهذا ما يعطي المعجميون حديثا إمكانيات كبيرة لجمع المواد وصياغتها وترتيبها.

الأساس الثاني:المداخل

يقصد بالمدخل «المادة المعجمية التي تتألف عادة في المعاجم اللغوية من الكلمات المشتقة وغير المشتقة»[1]، وبالتالي بنى فيشر مداخل معجمه على أساس« التفريق بين الكلمات العربية والأعجمية »[2] ، أي أنّه ميّز بين المادة الأصلية في العربية والمادة الأصلية في الأعجمية ومنه فقد جعل مدخل المادة الأصلية في العربية مجرّدة من الزوائد ثم أدرج تحتها جميع مشتقاتها،وهذه الطريقة هي نفس ما ذهب إليه المعجميون العرب في معاجمهم لأن العربية وبالخصوص تمتاز عن غيرها من اللغات بصفة الاشتقاق الذي يساعد على ثراء اللغة العربية،أما المادة الأعجمية فقد جعل فيشر لكل كلمة أعجمية مدخلا خاصا يوردها على الشكل الذي هي عليه دون إرجاعها إلى الأصل العربي.

الأساس الثالث: الترتيب

تميّز ترتيب فيشر بالدقة والتنظيم حيث اشتمل على ترتيبين وهما:« ترتيب خارجي للمداخل وذلك بمراعاة الحرف الأول والثاني والثالث، وترتيب داخلي للمشتقات الذي بدأ فيها بإيراد الفعل المجرد ثم المزيد بحرف ثم بحرفين ثم بثلاثة أحرف، كما تتبع الأسماء ترتيب الأفعال فيذكر المجرد، ثم المزيد»[3].

---

[1]- حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت: 1997 ط 1، ص 21.

[2]- نادية رمضان النجار، مباحث في اللغة والنحو، ص 122.

[3]- المرجع السابق، ص 123/122.

أما الكلمات المعربة فقد رتّبت مع الكلمات العربية بنفس الطريقة وهذا ما قاله:«أما الكلمات الأعجمية المعربة الزائدة على ثلاث أحرف تتبع الكلمات العربية في ترتيب المعجم إن تصرف فيها العرب بالاشتقاق فتعتبر حروفه كلها أصلية مثل: بنفسج»[1].

الأساس الرابع: الشرح

أو ما يسمى بالتعريف، والمقصود منه هو شرح المعنى أو بيان دلالة الكلمات والألفاظ ومنه فإن فيشر قد أشار في مقدمته غلى طريقته في شرح الكلمات وبذلك قال:«يجب أن تعرض الكلمة على حسب وجهات النظر السبع التالية: التاريخية والاشتقاقية والتصريفية والتعبيرية والنحوية والبيانية والأسلوبية»[2]، أي أنه لشرح معنى الكلمة في هذا المعجم لابدّ من أن تحاط الكلمة بجميع هذه الجوانب حتى يمكن شرحها شرحا تاما.

وبعد هذه الوجهات التي ذكرها فيشر أخذ يفصل في كل جانب من هذه الجوانب وهي كالتالي:

1- **الوجهة التاريخية** (The historical): إنّ الوجهة التاريخية للكلمة بالنسبة لفيشر«تجاوز كل وجهات النظر في الأهمية وذلك لأنه إذا أخذنا اللغة على أنها دائمة التطور، فلا شك أنّ لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص ويجب أن يوضح هذا التطور»[3]، فهذه الوجهة تكسب اللغة أهمية كبيرة والتي تتمثل في:« رصد تطور معاني الكلمة على مختلف الأزمنة التاريخية التي مرت بها، وبالتالي ذكر شواهدها مرتبة ترتيبا تاريخيا وذلك من أول موضع وردت فيه الكلمة حتى آخر استعمال لها»[4].

---

[1]- ينظر، أوغيست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، ص 29/28.

[2]- المرجع السابق، ص 22.

[3]- حلمي خليل، دراسات في اللغة و المعاجم، ص 424.

[4]- أوغيست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، ص 23/22.

ومنه نستطيع القول بأن هذه الوجهة تدرس الكلمات دراسة تاريخية تطورية،وبالتالي فالاعتماد على هذا الجانب هو ما يكسب المعجم قيمة تاريخية مهمة.

2- **الوجهة الاشتقاقية** (The etymoligical):حيث تهتم هذه الناحية« بالبحث عن أصل الكلمة ونسبها، أما الكلمات المعربة فقد تُردّ إلى أصولها بقدر الإمكان»[1].

أي أنّ هذه الوجهة تهتم بالبحث عن الأصل الحقيق للكلمة سواء كانت عربية أصيلة أو معربة أو دخيلة، وهذا ما يطلب على المعجمي أن يكون ملما بالعديد من اللغات حتى يستطيع البحث في هذه الوجهة.

3- **الوجهة التصريفية** (The hlexional): حيث تقول نادية رمضان النجار أنّ هذه الوجهة التي تناولها فيشر :« تتناول تحديد الصيغ التصريفية للكلمة، أي تصريف الأفعال والأسماء ويكتفي بالاستشهاد على الحالات التي تحتمل الشك، أما الصيغ النادرة فيحسن إيراد جميع شواهدها»[2].

أي أنّ هذه الوجهة تهتم بتحديد الصيغ المتغيرة للكلمات سواء كانت أفعالا أم أسماء، أما الصيغ النادرة والتي تحمل الشك فمن الأحسن ذكر جميع شواهدها المتوفرة.

4- **الوجهة التعبيرية** (The somasiological): تتناول هذه الوجهة المعنى الذي تحمله الكلمة أو معانيها المختلفة، وإذا كانت الكلمة تحمل عدة معاني يجب منا مراعاة قواعد معينة لترتيبها وهي:

-«يعتبر دائما المعنى الأول للكلمة لها معان مختلفة، ذلك الذي يؤخذ من اشتقاق الكلمة»[3] ، أي أن تعدد معاني اللفظ الواحد بحسب السياق التي ترد فيه.

---

[1]- ينظر، أوغيست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، ص 23.

[2]- نادية رمضان النجار، مباحث في اللغة والنحو، ص 124.

[3]- أوغيست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، ص 24.

-« ترتيب المعاني حسب التدرج الآتي:

الأصل ←الفرع

الحسي ← المعنوي

حقيقي← مجازي

المألوف ← غريب»[1]

5- **الوجهة النحوية** (The syntatical): تتناول هذه الوجهة «جميع الصفات الهامة التي تربط الكلمة بكلمة أخرى، ومنها أيضا تركيب كلمات لها مواضع معينة في سياق الكلام مثل: فقط وإنّما...إلخ. كذلك مراعاة المضمر أو المحذوف»[2].

فهذه الوجهة هي التي تساعد على تركيب الكلمات وانسجامها مع بعضها البعض، كما أنّ هناك بعض الكلمات مثل: فقط وإنما تكسب معناها من خلال السياق الذي قد ترد فيه، كما أنها تمتاز بعنصر الإحالة (أي الإحالة إلى الضمائر سواء كانت ظاهرة أو محذوفة).

6- **الوجهة البيانية** (The phraseological): تتناول«تلك العلاقات اللازمة للكلمة دائما وذلك بوضعها في موضع خاص دون أن يطرأ علها أي تغير لعامل من عوامل البلاغ ومن هذه العلاقات:

- علاقة الإتباع والمزاوجة مثل: ساغب، لاغب.
- علاقة المشاكلة كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّه وَالله خَيرُ المَاكرين﴾ آل عمران 54.
- علاقة التوكيد المشتقة من الاسم المؤكد نحو: شعر شاعر.

[1]- عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية : دراسة في البنية التركيبية، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، 1999 م، ط 1، ص 467.

[2]- أوغيست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، ص 24.

- علاقة ازدواج عبارتين متضادتين للتعبير عن معنى واحد مبالغ فيه كقوله تعالى:﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾الروم (4)»[1]

ومنه فإن هذه العلاقات لا يمكن أن تتغير أو تحذف لأنها اللغة العربية قضت بوضعها في موضع خاص.

7- **الوجهة الأسلوبية** (The stylistic): حيث قال حلمي خليل أنّ هذه الوجهة التي نظر إليها فيشر«تحدد المحيط اللغوي الذي تستعمل فيه الكلمة أو التعبير أو التركيب استعمالا عاما، وقد يكون هذا المحيط شاملا كلغة القرآن والحديث والشعر والنثر، أو يكون خاصا كالأسلوب الشخصي المحض»[2].

إذن فالوجهة الأسلوبية التي تناولها فيشر تبيّن بدورها الوضع أو السياق الذي استعملت فيه الكلمة، وبالتالي لا يفهم معنى الكلمة إلا بالرجوع إلى السياق الذي تكون قد وردت فيه.

هذه أهم الأسس التي اعتمدها فيشر في بناء معجمه وهذا هو تصوره لما ينبغي أن يكون عليه معجمه التاريخي للغة العربية وهو تصور يشبه إلى حدّ كبير ما طُبّق في معجم أكسفورد الإنجليزي، ولكن بمقابل ذلك هذا المعجم ليس هو المعجم التاريخي الذي يطمح المجمّع اللغوي بالقاهرة إخراجه،وذلك لكون فيشر حدّد الزمن الدقيق للبحث وذلك من خلال « رجوعه إلى الواقع اللغوي المسجّل والمحدّد بعصور معيّنة من البدء بالكتابة المنقوشة (المعروفة بنقش النمارة) من القرن الرابع ميلادي والانتهاء بنهاية القرن الثالث هجري الذي اعتبره المجمّع اللغوي منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من الكمال»[3].

---

[1]- ينظر،أوغيست فيشر،المعجم اللغوي التاريخي،ص25/24.

[2]- حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم، ص 426.

[3]- حمدي بخيت عمران، المُفصّل في المعاجم العربية، مكتبة زهراء الشرق، د.ب 2005، ط 1، ص 227.

أي أنّ فيشر توقف بحثه في تاريخ الكلمات العربية عند نهاية القرن الثالث هجري واقتصر زمن الاستشهاد فيه على العصور المشهود لهم بالفصاحة، في حين إنّ المعجم التاريخي المأمول للغة العربية يشتمل على كل الكلمات الموجودة في اللغة العربية منذ نشأتها إلى عصرنا الحاضر، وهذا ما يُعاب على معجم فيشر لما فيه من نقص وقصور وما صنعه من معجمه لا يمكن اعتماده ركيزة أساسية في صناعة المعجم الحديث، ولكن بالرغم من قصور معجم فيشر إلا أن محاولته كانت من أفضل معاجم المستشرقين التي أثّرت في الدراسات العربية الحديثة وتعدّ أول تجربة عملية في ميدان المعاجم، وهو الذي فتح المجال للغويين العرب حديثا في الدراسة التاريخية للغة ومحاولة بناء المعجم التاريخي للغة العربية ومازال هذا التأثر مستمرا إلى يومنا هذا.

2-2-المحاولات الفردية التي جاءت بعد فيشر:

لعل من أوائل الباحثين الذين قاموا بمبادرات لإنجاز المعجم التاريخي المأمول للغة العربية الأعلام الآتية أسماؤهم:

2-2-أ- **إسماعيل مظهر**: يعتبر هذا الباحث من أوائل الباحثين الذين جاؤوا بعد فيشر وقدموا بعض المحاولات للمعجم التاريخي للغة العربية، والأعمال التي قدمها إسماعيل مظهر هي ليست إنجاز معجم تاريخي بل هي عبارة عن بحوث متعلّقة بالمعجم التاريخي للغة العربية، فقد«قدّم بحثين إلى لجنة المعجم في مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1939،البحث الأول بعنوان:القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي، وقد استخلص هذه القواعد من مقدمة معجم أكسفورد الإنجليزي،أما البحث الثاني بعنوان: اللغة العربية وحاجاتها إلى معجم لغوي تاريخي فهذا البحث أنجزه من خلال تأثره بمعجم فيشر»[1].

[1]- ينظر، نادية رمضان النجار، مباحث في اللغة والنحو، ص 130/129.

ومنه نستطيع القول بأن معجم أكسفورد كان تأثيره واضحا في البحث الذي قدّمه إسماعيل مظهر: القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي، ويعتبر دليلا واضحا على تأثّر إسماعيل مظهر بهذا المعجم الذي استخلص القواعد التي يبنى عليها المعجم التاريخي للغة العربية من القواعد التي بُني عليها معجم أكسفورد.

كما يظهر تأثر إسماعيل مظهر بفيشر في بحثه: اللغة العربية وحاجاتها إلى معجم لغوي تاريخي، ومن خلال فيشر اقتنع بحاجة اللغة العربية إلى المعجم التاريخي، وخاصة أنه كان عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة وكان من معاوني فيشر قبل موته، وهذا بدوره ما زاد في أثر دعوته إلى المعجم التاريخي للغة العربية.

2-2- **ب- إبراهيم إبراهيم يوسف:** حيث كتب هذا الباحث«مقالا عن اللغة العربية والنهضة التي قامت في العصر الحديث... ودعا إلى تجنيد علماء اللغة من عرب ومستشرقين لوضع معجم للعربية الفصحى ملائما للتطور العلمي في العصر الحاضر ويتصف هذا المعجم بأنه كان متأثرا بفيشر تأثرا كبيرا»[1].

ومنه فإن هذا الباحث تأثر بمعجم فيشر، ويظهر هذا التأثر في دعوته إلى بناء معجم تاريخي يكون على غرار ما ألّفه فيشر، ولكن رغم محاولته هذه ودعوته إلاّ أنها باءت بالفشل ولم تحقّق هذا المعجم.

2-2-**ج-عبد الله العلايلي:** حيث شهد هذا اللغوي والفقيه تأثّرا كبيرا بالمنهج المعتمد في صناعة المعجم التاريخي، واشتهر بمعجمه الذي سمّاه " المرجع" الذي أُنجز سنة 1963 م ، والذي صدر منه المجلد الأول حتى انتهاء مادة " حجدل"، وهذا المرجع يعتبر « عملا يتصل بالأساس اللغوي ويتصاعد مع اللغة تصاعدها الطبيعي والحضاري، فهو يكشف عن تطور اللغة في جانبها

[1] - نادية رمضان النجار، مباحث في اللغة والنحو، ص130.

الفيلولولجي ثم يُحقّق دلالاتها القديمة ويصل بينها وبين ما يحمله الذهن الحديث من مفاهيم، ليفرغ أخيرا إلى فتح باب الاشتقاق على مصراعيه وتطبيقه بأوسع أشكاله»[1].

فمعجم المرجع يُعتبر معجما هاما، لأنه يهتم بالناحية التاريخية للغة ويكشف عن تطورها في مختلف الأزمنة ويبيّن أيضا اشتقاقات الكلمة، وكل هذا يتطلبه المعجم التاريخي.

أما حديثنا عن المنهج الذي اتّبعه العلايلي في معجمه "المرجع"، فقد أورد عبد القادر عبد الجليل العناصر التي اعتمد عليها العلايلي في منهجه، سنذكر البعض منها:

1- اعتماده الطريقة الفرنجية في الترتيب،أي ترتيب اللفظ حسب جذوره.

2- إثبات الأفعال غير المأخوذة من المعنى المصدري للجذر بالمعاني المذكورة تحت اسم العين.

إثبات المفرد في منزلته من النطق.

3- بحثه عن الوحدة الاشتقاقية الكبرى للأم، أو المعنى الأصلي للجذر المدخل.

4- جمع كل المصطلحات العلمية الموضوعة والمتفرقة وقرنها بتعريف موجز في كل فروع المعرفة الحديثة لتساوق العربية في حضورها متطلبات الحضارة الحديثة.

5- تعيين المولّد الحديث والمولّد القديم، فالأول يبدأ تاريخه الزمني بداية النهضة الأوروبية الحديثة والثاني يرجع إلى ما قبل القرن السابع عشر ميلادي وحدد حقبه مقسما العصر العباسي إلى ست حقب.

6- استخدام طائفة من المصطلحات والرموز في دلالات شتى من بينها: (•): مولد قديم،(•، عباسي أول): أي الحقبة الواقعة ما بين(249 . 846 م . 132 هـ . 231 هـ)، (*) دخيل بتعريف قديم وهو ما يرجع إلى ما قبل القرن السابع عشر الميلادي،(شق): المشتقات الفرعية من الجذر الأصلي.

[1]- عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية: دراسة في البنية التركيبية: ص 407.

7- اعتماد أساس البيان الواضح لوجوه معاني الألفاظ بين الحقيقة والمجاز والتنزيل والنقل.[1]

فمعجم " المرجع" للعلايلي ليس معجما تاريخيا بمعنى الكلمة، وإنما هو عبارة عن خليط من المعاجم والمعارف (لغوي، علمي، فلسفي...) أو نستطيع أن نقول أنه موسوعة شاملة لكل المعاجم، إلا أنّ المنهج الذي اتبعه والأسس التي اعتمد عليها تبيّن تناوله الجانب التاريخي يظهر بصورة كبيرة وهذا ما جعله يصنّف ضمن المعاجم التاريخية التطورية، والجانب التاريخي لهذا"المرجع" يتمثّل من خلال:

- تتبّع دلالات الكلمات والمصطلحات عبر التاريخ، وذلك بوضع الرموز المختلفة والتي تمثّل مختلف الفترات الزمنية.

- البحث عن الأصل الحقيق للجذر المدخل،الذي قد يكون معرّبا أو دخيلا... والبحث عن مختلف الاشتقاقات.

وفي الأخير نستنتج أنّ معجم " المرجع" يُمثّل خطوة هامة بادر بها العلايلي في طريق إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، وهو معجم جديد لم يسبق إليه من قبل، ولكن رغم ذلك إلاّ أنه لم يتحقق في أرض الواقع، وهذا بسبب موت صاحبه وعدم إتمامه وهي تجربة فردية في حين هذا المعجم الضخم لا يستوعبه مجهود فرد واحد ولو أفنى العمر كلّه.

ومنه فإنّ كل هذه المحاولات الفردية باءت بالفشل وذلك اعتبارا للصعوبة المتزايدة في إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، إذ لابد من تضافر الجهود لتحقيقه.

2-3- جهود الجمعية المعجمية العربية بتونس في المعجم التاريخي:

حيث تفطنت هذه الجمعية إلى العناية بالمعجم التاريخي بعدما لاحظته من المحاولات الفردية التي ظهرت دون جدوى، وتعتبر هذه الجمعية من أبرز الهيئات العلمية العربية المهتمة

[1]- ينظر،عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية: دراسة في البنية التركيبية، ص 409 /414.

بالمعجم التاريخي، واعتبرت الدراسات المعجمية التي صدرت عنها من أقوى وأعمق الدراسات المعجمية الصادرة عن هيئة علمية عربية أخرى، ونظرا لاهتمام هذه الجمعية بالمعجم التاريخي للغة العربية خصصت له ندوة علمية دولية وكانت هذه «ندوتها العلمية الثانية حول المعجم التاريخي: قضاياه ووسائل إنجازه" من 14 إلى 17 نوفمبر 1989 م بمشتل بتونس ، وقد عالجت الندوة ثلاث محاور هي:

- في المقاربات السابقة لوضع المعجم العربي التاريخي.
- في مفهوم المعجم العربي التاريخي ومحتواه ووظيفته.
- في مناهج المعجم العربي التاريخي وتقنيات إنجازه»[1].

فهذه الندوة كانت عبارة عن تمهيد لمحاولة وضع معجم تاريخي للغة العربية، حيث تمّ فيها الإحاطة بأهم الموضوعات النظرية والتطبيقية التي ترسم المعالم الهادية في الطريق إلى هذا المعجم، وهذا لكون هذه الندوة دولية «شارك فيها مجموعة من الباحثين من مختلف الدول (تونس، المغرب،مصر،أوروبا) من ذوي الاختصاص النظري أو التطبيقي وكل أسهم بالبحث والنقاش، ومن بين الباحثين مثلا: محمد رشاد الحمزاوي (بحثه بعنوان:المعجم التاريخي العربي في نطاق العربية)، إبراهيم بن مراد (اللفظ الأعجمي في معجم العربية التاريخي)، تيموتي بيمبو(من جامعة أكسفورد قدم بحثين: المعجمية التاريخية ومعجم أكسفورد الإنجليزي قدمه باللّغة الفرنسية، والثاني قدمه بالإنجليزية: حسبنة معجم أكسفورد الإنجليزي، وإلى غيرهم من الأساتذة والباحثين»[2].

إذن هذه الندوة أعتبرت خطوة هامة لم يسبق إليها من قبل في المعجم التاريخي للّغة العربية، وبالتالي فإنها عالجت قضايا مختصة بالمعجم التاريخي سواء كانت نظرية

[1]- ينظر، المعجمية (مجلة)، جمعية المعجمية العربية بتونس، ع 7، شركة فنون الرسم والنشر، تونس، 1992 أخبار المعجمية، ص 249/248.

[2]- المرجع السابق، ص 249.

أو تطبيقية وأيضا هذه الندوة باعتبارها كانت دولية، فإنها كانت ملمة لجهود الباحثين من مختلف الدول العربية، وذلك بتقديم العديد من البحوث التي ساعدت بدورها على دعم الباحثين نحو المعجم التاريخي للغة العربية، أما البحوث التي قدمت من معجم أكسفورد فقد كانت هذه الندوة تهدف من خلالها التعرّف على معجم أكسفورد الإنجليزي وتقنيات إنجازه، وهذا لكي تكتسب الخبرة والكفاءة لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية الذي مازال قيد الإنجاز.

وبعد هذه الندوة العلمية حول المعجم التاريخي قامت تونس بتقديم مشروع المعجم التاريخي تحت إشراف محمد رشاد الحمزاوي وعبد القادر المهيري وإبراهيم بن مراد سنة 1990 وذلك بدعم من هذه الجمعية المعجمية وبالتالي « فقد استطاع هذا المشروع من وضع المدونة المعجمية المؤرخة للعصر الجاهلي بالشعراء والنصوص الشعرية خاصة وهي نصوص منتمية إلى أربعة قرون من حوالي 200م إلى 609 م»[1].

فوضع مدونة شعرية للغة العربية يهدف إلى البحث عن النصوص الموثوقة من الشعر وهذه النصوص يستعان بها أثناء الاستشهاد في المعجم التاريخي للغة العربية عند إنجازه.

ومما سبق نستطيع القول أنّ تجربة المعجمية العربية بتونس نموذج من المحاولات التي بادرت بها نحو المعجم التاريخي، ورغم كل هذه الجهود التي قامت بها والتي لم نحط بالقدر الكافي الذي أنجزته إلاّ أنّ محاولتها ظلّت جامدة لأنها تحتاج إلى جهود كثيرة ومتضافرة لتحقيق الهدف المنشود.

2- 4- محاولة اتحاد المجامع اللغوية:

بعد الفشل الذي شهدته تونس جاء قرار باتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في مختلف البلدان العربية، وهذا الإتحاد يهدف إلى تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العربية وتنسيق

[1]- محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج)، ص 237.

الجهود في الأمور المتعلقة باللغة العربية وإلى غيرها من الأهداف التي يصبوا إليها، وكان المعجم التاريخي للغة العربية« مما درسه اتحاد المجامع وفي أفريل 2004 اتخذ الاتحاد قرارا بإنشاء مؤسسة تابعة له(مؤسسة المعجم التاريخي للغة العربية)، وهذه الهيئة لغوية علمية ذات شخصية اعتبارية مستقلّة تابعة لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ومقرّها القاهرة»[1] ،وبذلك فقد دعّم المجمع اللغوي بالقاهرة مشروع إنجاز المعجم التاريخي بكل سبيل مادي ومعنوي بالإضافة إلى المجامع الأخرى وبذلك بين لنا محمد حسن عبد العزيز أن هذا المشروع يقوم على مجموعة من الأسس وهي:

1-عمل قائمة كاملة بالمصادر المعتمدة المعجم التاريخي للغة العربية.

2- ترتيب المصادر وفقا لاسم المؤلف وعنوان المصدر وتاريخ المؤلف وتاريخ تأليف المصدر

3- الإشارة في البطاقة إلى أي معلومات خاصة بنشر المصدر إلكترونيا في مدونات جاهزة وبيان إمكانية الاستفادة منها للمعجم التاريخي.

4- يظهر الكتاب في صورة ورقية و إلكترونية CD تسلم في نهاية العمل.[2]

هذه أهم الأسس التي نادت بها هذه المؤسسة فبالرغم من أهميتها في بناء المعجم التاريخي إلا أنه لا تمثل الأسس الكاملة لبناء هذا المعجم الضخم، ولم تطبق في أرض الواقع.

ولعل معجم اللغة العربية بالقاهرة الذي كان مقرا لاتحاد المجامع اللغوية كان يلقي العديد من المحاضرات التي يتم فيها تقديم البحوث للعديد من الباحثين المهتمين بالمعجم التاريخي في مختلف البلدان العربية ومن هذه البحوث مثلا:

- المعجم الكبير للمجمع يغني عن المعجم التاريخي للغة العربية لناصر الدين الأسد.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج)، ص 166.

[2]- ينظر، المرجع السابق، ص 169.

- الشواهد في المعجم التاريخي،علي القاسمي.
- مشروع الذخيرة اللغوية العربية لعبد الرحمن الحاج صالح.

وبعد هذه البحوث تراكمت الجهود حول المعجم التاريخي وهذه الجهود إمّا كانت عبارة عن مشروعات مؤسساتية أو مؤلفات ومن أهمها:

2-4-أ- مشروع الذخيرة اللغوية العربية:

هو أقدم المشروعات المؤسساتية، ويعتبر عبد الرحمن الحاج صالح (رئيس مجمع اللغة العربية بالجزائر) صاحب فكرة مشروع الذخيرة اللغوية العربية والذي قدم هذا المشروع إلى«المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ديسمبر 1987»[1]، وبعد ذلك عيّن رئيسا لمشروع الذخيرة اللغوية العربية ومقره بالمجمع الجزائري للغة العربية بالعاصمة، كما أنّ الكثير من الدول من أعجبت بهذا المشروع وعملت كل الإمكانيات المتاحة لها في جمع المصادر المتعلقة بتراث اللغة العربية.

وبذلك عرّف عبد الرحمن الحاج صالح صاحب الفكرة الذخيرة اللغوية على أنّها « بنك آلي من النصوص القديمة والحديثة (من الجاهلية إلى وقتنا الحاضر)، وأهم صفة تتصف بها سهولة حصول الباحث على ما يريد وبسرعة، ثم شمولية المعلومات التي يمكن أن يتحصل عليها، وأهم من هذا أيضا هو اشتمالها على الاستعمال الحقيق للغة العربية عبر العصور وعبر البلدان العربية المختلفة»[2].

إذن نستطيع القول أنّ مشروع الذخيرة اللغوية هو مشروع يعتمد أساسا على الحاسوب الذي له القدرة الفائقة في تخزين المعلومات التي لا تعدّ ولا تحصى، كما أنّه من شأنه تسهيل عمل الباحثين والدارسين، وما عليهم في هذا البنك الآلي إلاّ أن يسألوا الحاسوب في الشيء الذي يريدون

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2007، د.ط ، ص 112.

[2]-المرجع السابق، ص 113.

البحث عنه فيجيبهم بشكل دقيق وسريع، كما أنه يحتوي على كل ما أبدعه الفكر العربي قديما وحديثا وبالخصوص اللغة العربية، وبذلك يعتبر هذا المشروع مشروعا علميا وحضاريا وفكريا.

وبالتالي فإنّ هذه الذخيرة تمدّنا بالعديد من الفوائد المتعلقة باللغة العربية من بين هذه الفوائد كما يقول عبد الرحمن الحاج صالح«الاعتماد على هذا البنك النصي الآلي في البحث عن التطوّر الدلالي للألفاظ العربية ومن ثمة إمكانية وضع معجم تاريخي دقيق للغة العربية»[1]، أي أنّ الذخيرة اللغوية تمكّن من إنجاز معجم تاريخي للغة العربية وهذا المعجم محسوب يكون موقعه في شبكة الأنترنيت، وبذلك أكّد عبد الرحمن الحاج صالح على خطورة هذا البنك الآلي وضرورة استغلاله في وضع معجم تاريخي وفي هذا السياق يقول:« ولا أتصور أن يقوم أحدنا أو جماعة منا بإنجاز معجم تاريخي للغة العربية دون اللجوء إلى قاعدة محسوبة من المعطيات لأنّ هذا المعجم يرمي في الأساس عن الكشف بالنسبة لكل مفردة عن تطور معانيها عبر الزمان وفي كل أنحاء الوطن العربي، واكتشاف المعنى لا يمكن أن يكتفي فيه باللجوء إلى المعاجم القديمة على الإطلاق، فإن السياقات هي التي تحدّد وحدها معنى اللفظة الواحدة أو معانيها الطارئة عبر الزمان، كما أنّ هناك مناهج خاصة لتحليل النصوص لاستخراج المعاني و من وراء هذه المعاني الأغراض الحقيقية لمستعملي اللغة في هذه النصوص، فهذه الطريقة العلمية»[2] .

يشير هنا عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنّ هذه الطريقة "الذخيرة اللغوية " هي الطريقة الأنسب لوضع معجم تاريخي وهذا نظرا للشمولية التي تمتاز بها في حصر كل مفردات اللّغة العربية في مختلف العصور، وبالتالي هي التي تساعد على الكشف عن المعاني المختلفة للكلمات وذلك من خلال تحديد السياقات التي وردت فيها عبر الزمان، كما تمكّننا أيضا من إعطاء لكل

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية،ج2، ص 113.

[2]- المرجع السابق، ص 122.

الكلمات تاريخها الخاص التي ظهرت فيه، وبالتالي فإنّ كل هذه الخدمات التي تقوم بها الذخيرة يكون متوفرة في كل الأقطار العربية والعالمية، فعلى الباحث أن يتحصل على هذا المعجم في مختلف الأمكنة التي يكون فيها، ومنه نستطيع القول بأنّ هذه الذخيرة لا يمكن اعتبارها معجما ضخما مثل المعاجم السابقة وإنما تكون مصدرا لجميع المعاجم بما في ذلك المعجم التاريخي.

وبالإضافة إلى جهود عبد الرحمن الحاج صالح اقترح عزّ الدين البوشيخي:« بإنشاء مرصد للمعجم التاريخي للغة العربية في شبكة الأنترنت يصمم بطريقة مفتوحة في وجه الراغبين في المشاركة من أنحاء العالم، على أن يشرف عليه عدد محدود من خبراء اللغة والمعجم بحيث يكون هذا العمل وفق تنظيم محكم يقوم بإدخال المعاجم الرقمية بالصورة التي تتوافق مع بناء المعجم التاريخي للغة العربية وأيضا الاستفادة من الكتب والمصنفات الرقمية والورقية في تزويد المعاجم بمادة جديدة»[1].

وبالتالي فإنّ عزّ الدين البوشيخي اقترح أيضا بوضع معجم تاريخي محسوب في شبكة الأنترنت ويكون هذا المعجم شاملا لكل الآداب العربية، ولكنه لم يقترح بوضع ذخيرة لغوية عربية مثل ما دعا به عبد الرحمن الحاج صالح.

وفي الأخير يمكن القول أنّه على الرغم من العلم الكامل بالأهمية التي تحتوي عليها الذخيرة اللغوية لعبد الرحمن الحاج صالح في إنجاز المعجم التاريخي وغيره، إلا أنه للأسف لم تظهر هذه المدونة حتى الآن بالرغم من أنّ فكرتها ظهرت منذ ثلاثين سنة، وهذا ربما يعود إلى عدة صعوبات وعوائق واجهت هذا المشروع، منها:

[1]- ينظر، مجموعة من المؤلفين، المعجمية العربية قضايا وآفاق ، ج 2، دار كنوز للمعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط 1، ص 48/47.

- ضخامة هذه المشروع والتكاليف الباهضة الذي يحتاج إليها، وهذا لا يتحقق بدولة واحدة إذ لابد من تضافر جهود كل الدول العربية.

- عدم إمكانية حصر كل المصادر والمراجع المتعلّقة بالتراث اللغوي والعربي خاصة أنّ هناك بعض المصادر المخطوطة لم تحقق حتّى الآن.

- تعدّد المواقع في حصر كل المصادر في حين يجب أن تكون موحّدة في كل الأقطار العربية.

2-4- **ب-المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج)**: الذي كان صاحبه محمد حسن عبد العزيز أستاذ علم اللغة بجامعة القاهرة وعضو في لجنة المعجم التاريخي باتحاد المجامع وعضو المجمع اللغة العربية بالقاهرة.

فهذا المعجم صدر ضمن منشورات دار السلام بالقاهرة، رقم الإيداع/ 2008، الترقيم الدولي L.S.B.N-2-609-342-977. يحتوي على 414 ص.

يضم هذا الكتاب أهم الموضوعات المتعلّقة بالمعجم التاريخي للغة العربية، والعناصر الأساسية التي تناولها في فهرسه هي:

1- « جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة لوضع المعجم التاريخي للغة العربية.

2- تجارب سابقة لوضع معجم تاريخي لغوي.

3- جهود اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لوضع معجم تاريخي للغة العربية.

4- نماذج توضيحية لمواد مختارة للمعجم التاريخي للغة العربية (قطار، ذرة، وسياسة، زنّار، ترجمان (بفتح التاء وضمّها)، وزير ووزارة، حاجب وحجابة، حكومة)»[1].

[1]- ينظر، محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج)، ص 9/7.

ومنه فإنّ هذا المعجم يعتبر أول كتاب في اللغة العربية يتحدث عن المعجم التاريخي للغة العربية من خلال الوثائق التي سجلت ما دار حوله من بحوث وتقارير، والنماذج التي يقدمها المؤلف لمادته والمنهج المتّبع.

كما احتوى هذا الكتاب على عرض وتقييم لجهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في إنجاز المعجم التاريخي تقييما موضوعيا،بالإضافة إلى إشارته إلى معجم التاريخي للغة الإنجليزية (أكسفورد) والمعجم التاريخي للغة الفرنسية.

كما قدّم في هذه الكتاب عرض لنماذج ثمانية اختارها واستخلصها من نصوص لغوية موثقة من الشعر والنثر والقرآن الكريم، والتي بيّن فيها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدها والتي تمتد من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث،والتي تبيّن بدورها المنهج الذي اتبعه في استخلاص مادته ودراستها.

والأهم من كل هذا فقد وضع محمد حسن عبد العزيز وبيّن في معجمه أهم الأسس المنهجية التي يُعتمد عليها في عمل معجم تاريخي للغة العربية والتي نستطيع تلخيصها فيما يلي:

1) اللّغة المؤرخ لها في معجم اللغة العربية الفصحى المكتوبة المشتركة في جميع الأقطار وفي كل الأزمنة منذ العصر الجاهلي إلى اليوم.

2) تحديد المراحل الزمنية المختارة للمقارنة هي العربية ابتداءا من العصر الجاهلي إلى اليوم.

3) بداية التأريخ من نصوص تنسب إلى العصر الجاهلي مع تأصيلات سامية.

4) ترتيب مواد المعجم حسب جذورها (الحرف الأول فالثاني فالثالث)، وهذا ما سار عليه المعجم الكبير، مع مراعاة منهجه في توزيع فروع الجذر من الأفعال والأسماء وفي معالجة المعرّبات.

5) الوحدات المعجمية المدروسة هي على سبيل الحصر تضم الكلمات الآتية (حوامل المعنى الكلمات الوظيفية،المنحوتة والمركبة،العبارات السياقية والاصطلاحية).

6) مداخل المعجم تتمثل في الجذور لا الكلمات، ثم تتفرّع من الجذور المشتقات والمصادر.

7) مراعاة الاعتبارات التي تهتم بها المعاجم الحديثة للألفاظ من خلال:الاستعمال أوالندرة أو الإباحة والحضر، والإطار الاجتماعي لاستعمال اللفظ وكذلك الزمان والمكان الذي يستعمل فيه اللفظ ومستواه الخاص (معياري تراثي).

8) التزام طريقة لكي ترتّب المعاني المتعدّدة للفظ وأيضا التزام طرق تعريف الكلمات وشرح معانيها.

9) اعتماد مصادر المعجم الأساسية أو الثانوية المباشرة والمساعدة.

10) إعداد المحررين والمساعدين والمراجعين، والبرامج المقترحة لتأهيلهم للعمل بالمعجم التاريخي.[1]

هذه أهم الأسس التي اعتمد عليها محمد حسن عبد العزيز، فالبعض منها وضعها من خبرته أما بعض الأسس فنلاحظ أنّها استخلصها واستنبطها من التجارب السابقة لوضع معجم تاريخي منها: معجم أكسفورد، معجم فيشر والمعجم التاريخي الذي يرغب المجمع في إخراجه.

وفي الأخير نستطيع القول بأن محمد حسن عبد العزيز رغم عدم تمكّنه من وضع معجم تاريخي للّغة العربية وتقديم هذا النموذج البسيط، إلا أنّ محاولته كانت ثمرة علمية وتجربة معجمية ثرية بالنسبة لمجمع اللغة العربية عامة وبلجنة المعجم التاريخي لإتحاد المجامع اللغوية خاصة.

2-5- تجربة معهد الدراسات المصطلحية بفاس حول إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية:يعتبر هذا المعهد مؤسسة للبحث العلمي متخصصة في البحوث والدراسات المصطلحية تابعة لكلّية الآداب والعلوم الإنسانية بظهر المهراز – جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس- بالمغرب، تأسّس هذا المعهد سنة 1993، وكان الدكتور الشاهد البوشيخي رئيسا لهذا المعهد.

أخذ المعهد منذ تأسيسه تحقيق مشروع علمي ضخم يتمثل في العمل على إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية الذي يعني حسب البوشيخي:« ذلك العمل العلمي الجامع

[1]- ينظر، محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج)، ص 57-58.

لكل الألفاظ التي تسمي مفاهيم في أي عمل، مرتبة المباني ترتيبا معجميا لتيسير الوصول إليها معروضة المعاني عرضا تاريخيا ورصد التطوّر الدلالي والاستعمالي الذي طرأ عليها منذ ولادتها حتى آخر استعمال لها»[1].

فمشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية يهتم بحصر المصطلحات الموجودة في كل علم من العلوم ودراستها دراسة تاريخية علمية وتبيّن جانبها الدلالي والاستعمالي الذي حصل لها على مر الفترات الزمنية، وهذا المشروع يعتبر خطوة هامة تساعدنا على وضع معجم تاريخي شامل للغة العربية وهذا ما أكده البوشيخي وأعلنه قبل ولادة المعهد في قوله:«إنّ الجهود الفردية والجماعية في ميدان المصطلح ينبغي أن تتقوى وتتكامل لتصب في اتجاه واحد هو تذليل العقبة الكأداء:عقبة إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات الذي هو خطوة من أهم الخطى في الطريق إلى المعجم التاريخي للغة العربية»[2] .

فبعد ولادة المعهد سنة 1993 بدأ السير في مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية وبعد ذلك تزايدت الجهود وتضافرت وأسهم في هذا المشروع باحثون وباحثات أفرادا وجماعات في مختلف الكليات المتواجدة بالمغرب، ومنه يمكن تصنيف الجهود التي كانت خادمة لهذا المشروع إلى أنواع منها:

2-5-أ- **المدارسات العلمية:** فلعلّ أول مدارسة علمية للمعهد كانت من طرف الشاهد البوشيخي الذي« قدم موضوعها بعنوان:مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية المعرّفة في 21 جانفي سنة 1995، وكانت المرحلة الأولى من المشروع»[3]، حيث اعتبر هذه المدارسة هي المرحلة

[1]- الشاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، ص 07.

[2]- المرجع السابق، ص 04.

[3]- المرجع السابق، ص 05.

الأولى من مراحل إنجاز مشروع المعهد وتهدف بدورها إلى جمع جهود العلماء السابقين في وضع الألفاظ الاصطلاحية في مختلف العلوم.

2-5- **ب- الأيام الدراسية:** وهي متعدّدة منها: تنظيم يومين دراسيين في موضوع مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية المعرّفة يومي: 15/14 مارس 1988.

2-5-**ج-الندوات:**من أهم الندوات التي أقيمت حول المعجم التاريخي للغة العربية هي:الندوة الدولية حول المعجم التاريخي للغة العربية:قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية التي انعقدت بالعاصمة فاس - المغرب – أيام 10/9/8 أفريل 2010م برئاسة الدكتور الشاهد البوشيخي، حيث تكتسي هذه الندوة أهمية كبيرة في دعم الباحثين على المعجم التاريخي نظرا للمواضيع المهمة التي تناولتها والأهداف التي نادت بها، ولحديثنا عن هذه المواضيع والأهداف تمكنّا من التحصّل على مطوية هذه الندوة بعنوان " ندوة دولية المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية"، وهذه المطوية هي مضافة إلى قائمة الملاحق.

بحيث احتوت هذه المطوية على تسع جلسات أساسية عولجت في الندوة، وكل جلسة تناولت أهم المواضيع الخاصة بالمعجم التاريخي، وهذه الجلسات نذكر البعض منها:

« الجلسة الثالثة:أسس إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية ومبادئه تناولت مداخلات عديدة أهمّها: أسس إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية ومبادئه لعبد العلي الودغيري، تطوّر المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية في المعاجم اللغوية العربية – أساس نظري و تطبيقي لوضع أسس المعجم التاريخي العربي لليث شاكر محمود (بغداد)، نحو تصوّر لمدونة المعجم التاريخي للغة العربية لمحمد الينبعي (المغرب) وغيرها»[1] .

[1]- ينظر، مطوية ندوة دولية المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية (موجودة في قائمة الملاحق)

ففي هذه الجلسة تمّ التحدّث على موضوع هام في المعجم التاريخي هو تبيين الأسس التي يعتمد عليها في بناء المعجم التاريخي للغة العربية وأسس المعجم التاريخي هو أول ما يجب توضيحه قبل إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.

كما أنّ الجلسات الأخرى أحاطت بعدة مواضيع مختلفة « فالجلسة الرابعة مثلا حول مادة المعجم التاريخي للغة العربية من بين المواضيع التي تناولتها: مادة المعجم التاريخي للغة العربية لعبد الرحمن بودرع (المغرب)، إشكالات " الجمع" في العربية من المعجم العام إلى المعجم التاريخي لحبيب النصراوي (تونس)، أما الجلسة الخامسة تدور حول بناء المعجم التاريخي للغة العربية تناولت بعض المواضيع منها: فيمَ يفيدنا الجذر في بناء المعجم التاريخي للغة العربية لعبد الرزّاق بخور (تونس)، المعلومات التأصيلية في المعجمات اللغوية التراثية والحديثة لمحمد الغريبي(تونس)، أما الجلسة السادسة بعنوان الضوابط المنهجية أحاطت بالعديد من المواضيع منها: الضوابط المنهجية الخاصة بالمعجم التاريخي للغة العربية لحسين كنوان، خطوة نحو إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية إضاءة منهجية لعلي توفيق الحمد (المملكة العربية السعودية) »[1].

أما الجلسة الأخيرة هي« الجلسة التاسعة وهي محاضرة الختام تناولت موضوع واحد حول التوصيل الالكتروني بين المعجم التاريخي للغة العربية و قاموس تراثها السيميائي الأصيل(كنز الضاد) لأمين عبد الكريم باربو (فرنسا)»[2].

فهذه الجلسة دعت إلى الاستعانة بالتقنيات الحاسوبية الجديدة لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، وهذا ما دعى إليه أيضا عبد الرحمن الحاج صالح في مشروع الذخيرة اللغوية.

[1]- ينظر، مطوية ندوة دولية المعجم التاريخي للغة العربية قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية (موجودة في قائمة الملاحق)

[2]- ينظر، المرجع السابق.

هذه أهم الجلسات التي تطرّقنا إليها و التي تحمل أهم المواضيع بالرغم من أنّ هناك جلسات أخرى لم نذكرها لتعدّد مواضيعها.

ومنه نستطيع القول أنّ هذه الندوة كانت دولية، وهذا بدورها ما فتحت المجال للمهتمين بالمعجم التاريخي من التواصل والتشاور فيها بينهم لتحقيق هذا المشروع، ألا وهو إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.

وفي الأخير نستخلص من كل الجلسات(التي احتوت عليها الندوة) أنّ هذه الندوة تمّ فيها الإحاطة بثلاث قضايا متعلقة بالمعجم التاريخي للغة العربية ويمكن تصنيفها كالآتي:

أ- القضايا النظرية: حيث تناولت الندوة في هذه القضية كل المسائل النظرية للمعجم التاريخي مثل:أسس إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية،مادة المعجم التاريخي للغة العربية المعلومات التأصيلية في المعجمات اللغوية والتراثية والحديثة وإلى غيرها من المواضيع.

ب- القضايا المنهجية: تناولت فيها المنهج الأساسي المتبّع لصناعة المعجم التاريخي(الضوابط المنهجية الخاصة المعجم التاريخي للغة العربية، دعوة نحو إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، إضاءة منهجية...إلخ).

ج- القضايا التطبيقية: ففي هذه القضايا تم تقويم عدّة نماذج من المعاجم التاريخية لبعض اللغات الأجنبية، وأيضا تمّ فيها تقويم نماذج من المحاولات إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية(عبد الله العلايلي، معجم فيشر، تجربة الجمعية المعجمية التونسية...إلخ)، وهذه المحاولات المتعلّقة بالمعجم التاريخي للغة العربية هي التي أشرنا إليها سابقا، إذن نستطيع القول أنّ القضايا التطبيقية التي عالجتها الندوة هي القضايا المهمة في المعجم التاريخي للغة العربية لأنها عملت على دعم الباحثين على المعجم التاريخي، وذلك من خلال التقويمات التي قامت بها سواء من قبل تقويم

تجارب والمحاولات للمعجم التاريخي للغة العربية،وهي بدورها تساعد على توضيح الصعوبات التي واجهت هذه المحاولات والعمل على تذليل الصعوبات والعوائق.

2-5- د- **نشر منشورات علمية متخصصة**:من بينها:

أ- **مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية:** الذي ألّفه الشاهد البوشيخي رئيس معهد الدراسات المصطلحية بفاس-المغرب-، وهذا المشروع عبارة عن كتاب يحتوي على ثلاث وأربعين صفحة، رقم الايداع القانوني: 2002/0635، ط1: 2002، طبع: مطبعة آنفو-برانت بفاس.

تناول الشاهد البوشيخي في هذا الكتاب أهم المواضيع المتعلّقة بمشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، والعناصر الأساسية التي جاءت في هذا الكتاب هي:

- مقدمة

1) بيان المراد من المشروع

2) موجبات البحث في المشروع

3) أهداف المشروع

4) مراحل المشروع

5) وسائل المشروع

6) ملحق معالم منهج الدراسة المصطلحية

7) المصادر والمراجع

- الفهرس.[1]

وبذلك يُعتبر مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية مشروعا ذو أهمية كبيرة عند الشاهد البوشيخي، لأنّ هذا المشروع يساهم بدوره في بناء المعجم التاريخي للغة العربية وهذا

[1]- الشاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي المصطلحات العلمية، ص 43/3.

ما أكّده بقوله:«هذا المشروع هو العمل على إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات العربية، وفق خطة علمية منهجية متكاملة، تُرشّد فيها المناهج،وتُحدّث فيها الوسائل،وتُكثّف فيها الجهود وتُوجّه فيها الطاقات، وتُنسّق فيها الأعمال، لتصب في اتجاه واحد هو تذليل العقبة الكأداء:عقبة إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات، الذي هو خطوة من أهم الخطى في الطريق إلى المعجم التاريخي للغة العربية»[1].

ومنه فإنّ الشاهد البوشيخي أثناء وضعه لهذا الكتاب كان يرمي من خلاله إلى تحقيق عدة أهداف أهمها:التعريف بمشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية وإبراز أهميته وقيمته العلمية والمنهجية ومحاولة إيجاد معجم تاريخي للمصطلحات العلمية في مختلف العلوم وكذلك اعتبار هذا المشروع خطوة هامة لإنجاز معجم تاريخي شامل لمصطلحات كل العلوم(المعجم التاريخي للغة العربية).

ب- نشر كتاب فريدة زمرد(المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرّفة في تفسير الطبري):

يعتبر هذا الكتاب عبارة عن معجم صدر ضمن المنشورات معهد الدراسات المصطلحية بفاس - المغرب- من قبل الدكتورة فريدة زمرّد بعنوان:المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرّفة في تفسير الطبري، رقم الايداع القانوني:1965/2005، ط1،2005، طبع وتصميم: مطبعة أنفو -برانت بفاس، يحتوي هذا المعجم على 266 ص.

حيث كانت البدايات الأولى لإنجاز هذا المعجم في« سنة 1995م عندما ألقى مدير معهد الدراسات المصطلحية المدارسة العلمية الأولى للمعهد بعنوان"مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية العربية المعرّفة"، والذي يهدف إلى جمع جهود العلماء في مجال بيان المراد من الألفاظ الاصطلاحية في مختلف أصناف العلوم منها:العلوم الشرعية، العلوم الإنسانية والعلوم المادية،

[1]- الشاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي المصطلحات العلمية، ص 5/4.

وعند ولادة المشروع في مارس 1998 أنشأ ورشة من ورشات اليومين الدراسيين، وكان من المشاركين في هذه الورشة فريدة زمرّد، ثم كانت محاولة أخرى سنة 2000 شارك فيها العديد من الباحثين، منهم فريدة زمرّد التي برزت مشاركة ومشرفة في هذا المعجم»[1].

ومنه نستطيع القول بأن كتاب فريدة زمرّد المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرّفة في تفسير الطبري، هو من أهم الجهود التي كانت خادمة لمشروع المعهد وهو مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية.

أما حديثنا عن العناصر الأساسية التي وجدت في هذا المعجم فهي كالآتي:

1- التعريف بمشروع المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرّفة.

2- تمهيد يشمل: إطار البحث، الإشكالات المنهجية، مرحل الإعداد ومعايير الإنجاز وضوابطه.

3- ملحق تعريفات مجهولة النسب.

4- الفهارس العامة وهي:

- فهرس الجذور اللغوية للمصطلحات.
- فهرس المصطلحات.
- فهرس الأعلام.
- فهرس تاريخي للأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات[2].

[1]- ينظر، فريدة زمرّد، المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرّفة في تفسير الطبري، مطبعة آنفو -برانت فاس: 2005، ط 1، ص ب/ج.

[2]- المرجع السابق، ص أ/265.

أما من ناحية المضمون الذي احتوى في هذا المعجم، فنستطيع القول بأنّ فريدة زمرّد عالجت خمسمائة وواحد وخمسين مصطلحا قرآنيا معرّفا في تفسير الطبري.

بحيث رتّبت هذه المصطلحات حسب الترتيب الألفبائي وجعلت لكل حرف باب وعالجت في كل باب المصطلحات التي تنتمي إلى هذا الباب، فبدأت بباب الألف مع مصطلح " الأثارة" وانتهت بباب الياء مع مصطلح " يوم الدين".

وبالتالي فإنها اعتمدت في إيراد المصطلحات القرآنية على ترتيب خاص، بحيث راعت فيها ضابط الجذر لا صورة الاشتقاق التي هو عليها مثلا: مصطلح التبيان نجده في باب الباب لأنّ جذره بيّن، مصطلح الاستفتاح نجده في باب الفاء لأن جذره فتح، مصطلح الإسلام نجده في باب السين لأن جذره سلم.

أما من ناحية شرح المصطلحات فنورد مثالا على ذلك من معجمها وهو:« مصطلح الأثارة:

- ابن عباس (ت:68) الأثارة: بيّنه من الأمر.(الأحقاف: 3-3/26/13).
- قتادة (ت: 118)- أثارة: خاصة من علم (الأحقاف: 3-2/26/13).
- أبو بكر بن عياش (ت: 193)- أثارة من علم: البقية من علم (الأحقاف: 3-263/13).
- الطبري (ت: 310)-الأثارة: البقية من علم (الأحقاف: 3-3/26/13)»[1].

ومنه يمكننا القول أن فريدة زمرّد اعتمدت على عدّة أسس لانجاز هذا المعجم ومنها:

1-الترتيب التاريخي لمدلولات المصطلح الواحد عن طريق الضبط الدقيق لسنة وفاة المعرفين.

2- الاعتماد على أوثق مصادر تفسير القرآن الكريم عند مختلف المفسرين والتوقف عند تفسير الطبري.

[1]- فريدة زمرّد، المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرّفة في تفسير الطبري، ص 13.

3- توثيق هذه التفسيرات والتعريفات بالقرآن الكريم، وذلك عن طريق ذكر اسم السورة ورقم الآية المشتملة هذا المصطلح ثم ذكر رقم المجلّد والجزء والصفحة المشتملة على تعريف المفسرين.

4- احتواء هذا المعجم على المصطلحات القرآنية فقط المعرفة عند مختلف المفسرين والتوقف في المصطلحات عند تفسير الطبري، وهذا من أجل التتبّع الدقيق لمدلولات الاصطلاحات عند المفسرين السابقين والانتهاء عند تعريف الطبري لهذه المصطلحات.

ومنه فإنّ إنجاز المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة في تفسير الطبري اعتبره الشاهد البوشيخي - مدير معهد الدراسات المصطلحية- عملا علميا متميّزا وتجربة تاريخية مهمة حيث يقول عن هذا المعجم إنه:« نموذج جيد للانطلاق منه في صناعة أي معجم تاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة في أي تفسير أو مصدر يسمح بذلك، وأيضا عمل مؤسس لأوليته ونضجه وبدئه من حيث ينبغي أن يكون البدء: فهو قائم على أهم متن تفسيري قديم جامع البيان عن تأويل القرآن لشيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى- فيه خلاصة جهد خيار الأمة في بيان المراد من كتاب الله تعالى في القرون الثلاثة الأولى، وفيه الإسناد الذي يسمح بالتاريخ لبلوغ المراد»[1].

وما يمكننا قوله في الأخير أنّ هذا المعجم الذي أنتجته فريدة زمرد كان من أهم النتائج التطبيقية الإيجابية التي صدرت عن معهد الدراسات المصطلحية بفاس الذي كان يهدف إلى إنجاز مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، وبذلك فإنّ فريدة زمرد خصصت هذا المعجم للمصطلحات القرآنية المعرفة في تفسير الطبري ،إذن كان معجمها عبارة عن معجم تاريخي خاص وليس شامل، ولكن بالرغم من المحاولة التي قامت بها فريدة زمرد في إنجاز المعجم التاريخي

[1]- فريدة زمرد، المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة في تفسير الطبري، ص ج/د.

للمصطلحات القرآنية المعرفة في تفسير الطبري ،إلاّ أنّ المعجم التاريخي للغة العربية يتطلّب تناول كل المصطلحات وفي كل العلوم واشتماله على كل الكلمات الموجودة في اللغة العربية.

وبذلك فإنّ معهد الدراسات المصطلحية بفاس مازال لم تبرز تجربته الناضجة حول إنجاز المعجم التاريخي الشامل للغة العربية،واقتصرت نتائجه التطبيقية حول المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية.

هذه أهم المحاولات والجهود التي أُنجزت حول المعجم التاريخي للغة العربية- وإن لم نذكرها جميعا- بدءا من فيشر إلى تجربة معهد الدراسات الاصطلاحية بفاس حول المعجم التاريخي، وكل محاولة بحد ذاتها قدّمت لنا تجربتها حول المعجم التاريخي وبيّنت لنا بدورها الأسس التي اعتمدت عليها في محاولتها للمعجم التاريخي.

وفي الأخير يمكننا القول أنّه على الرغم من كل هذه المحاولات والجهود التي ذكرناها سابقا، إلاّ أنّها لم تصل إلى تحقيق المشروع الضخم وهو بناء المعجم التاريخي للغة العربية وهذا هو السبب الذي جعل الباحثين والدارسين يختلفون في وضع الأسس التي يُبنى عليها المعجم التاريخي فلو كان هناك معجم تاريخي لكانت الأسس التي يُبنى عليها هذا المعجم واضحة وثابتة.

ولعل كل هذه المحاولات والجهود التي لم تصل إلى تحقيق المعجم التاريخي للغة العربية دليل على أنّ هذا المعجم محيط به العديد من العقبات والعوائق التي وقفت أمّا هذا المعجم، حيث يقول الشاهد البوشيخي في ذلك:« وفي الطريق عوائق على رأسها معضلة النّص وعقبة التمويل، وعقبة التنسيق، وفي الطريق مشاق وصعوبات على رأسها نُدرة الخبير وقلة النصير وطول المسير، لكن لابد من السير وإن مع وجود العائق لتجاوز العائق وإن مع وجود العقبات باقتحام العقبات»[1].

[1]- ينظر، الشاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية، ص 28/27.

وهذا يعني أن المعجم التاريخي للغة العربية تحيط به عوائق مختلفة وهي:عوائق مالية، إدارية وعلمية، إلاّ انّه لابد من تجاوز كل هذه العوائق والعقبات لتحقيق هذا المشروع الضخم حتى وإن استغرق هذا العمل سنوات طويلة.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية لنماذج من معجم محمد حسن عبد العزيز

1- قطار.

2- ذرّة.

3- سياسة.

4- زنّار.

5- ترجمان.

6- وزير ووزارة.

7- حاجب وحجابة.

8- حكومة.

يحتوي الفصل الثاني على مجموعة من النماذج مأخوذة من المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج) لمحمد حسن عبد العزيز الذي سبق لنا التحدث عنه في الفصل الأول* إثر حديثنا عن بعض المحاولات والجهود لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.

والنماذج التي تناولناها هي: قطار، ذرّة،سياسة، زنّار ترجمان (بفتح التاء وضمّها)، وزير ووزارة، حاجب وحجابة، حكومة.

بحيث لم يسبق للذين حاولوا في المعجم التاريخي - على غرار فيشر - أن قدموا نماذج أو نموذج واحد لمادة المعجم التاريخي المأمول،وهذا ما أشار إليه أيضا في منهجه حيثقال:« فلم يجرؤ أحد من الذين تحدثوا أو كتبوا على تقديم نموذج لمادة من مواد المعجم المقترح إنجازه ولهذا صرفت جهدي ووقتي لهذا العمل أو لهذه المغامرة التي تحيط بها العقبات من كل النواحي»[1].

ولذا فإنّ محاولته في إنجاز هذه النماذج محاولة مهمة ومفيدة لوضع المعجم التاريخي للغة العربية - وإن كانت غير كافية – لأنّه حاول معالجتها معالجة تاريخية وتقديم مختلف الشواهد التاريخية مثل المعجم التاريخي الذي يرغب بإنجازه وفي ذلك يقول:«إنّ هذه النماذج أو الأمثلة التي قدّمتها وأقدمها ما هي إلا مادة صالحة لاستغلالها في تحرير مدخل في المعجم التاريخي المزمع إنجازه، أولاختبار المنهج المقترح، ولوضع كراسة العمل فيه، فليست إذا نموذجا لمدخل من مداخله كما أنّ النماذج والأمثلة المستخلصة من النصوص تصلح أن تكون مدونة صغرى تعدّ مثلا في تنوّعها وشمولها للمدونة الكبرى المقترحة للمعجم»[2]

*الفصل الأول، ص46.

[1]- محمد حسن عبد العزيز ، المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج)، ص 273

[2]- المرجع السابق، ص274

فهو يرى أنّ هذه النماذج تصلح لأن تكون مدونة صغرى للمدونة الكبرى التي جاء بها عبد الرحمن الحاج صالح وهي: مشروع الذخيرة اللغوية والتي تهدف بدورها إلى وضع معجم تاريخي للغة العربية.

ومنه فإنّ هذه النماذج التي عالجها في معجمه سنتناولها كلها بالدراسة والنقد وسنحاول من خلالها التعرّف على مدى تطبيقه لما ذكره في منهجه و أيضا نحاول التعرّف على الأسس التي اعتمد عليها في وضع هذه النماذج وبالتالي سنقف عند كل نموذج بدراسته ونقده مع إيراد بعض الشواهد التي استشهد بها لأنه لا يمكننا إيراد كل الشواهد لكثرتها.

وهذه النماذج سنتناولها على نحو ما عرضها في معجمه وهي كالآتي:

1- قطار*

أورد هذه المفردة ضمن العناصر الآتية:

أ- قطار من الماء

ب-قطار من ناس أو إبل

ج- قطار السكة الحديدية

قطار في الشعر العربي الحديث ، ومما حمل على المجاز في العصر الحديث

صدر الحديث في هذا النموذج بذكر المدلولات الأساسية لكلمة قطار التي طرأ عليها نوع من التغيّر الدلالي، وبذلك اكتفى بشرح موجز لهذه الدلالات اعتمادا على التعاريف اللغوية الموجودة في المعاجم وفقا لما جاء في تصوّر منهجه، والمعاني الأساسية التي ذكرها هي كالأتي:

- « القطار جمع قطر، وهو المطر، والقطر: ما قطر من الماء وغيره، واحدته قطرةوالجمع قطار (انظر اللسان والتاج)*
- والقطار جمع من الإبل ونحوها يتبع بعضها البعض في نسق (انظر اللسان والتاج)
- القطار مجموعة من مركبات السكة الحديدية تجرها قاطرة (أنظر المعجم الوسيط)»[1]

فبعد هذا الشرح الموجز للمدلولات الأساسية للقطار تطرّق بعد ذلك إلى تناول كل معنى على حدى بشرحه على أساس شواهده المؤرخة حسب الزمن الذي استعمل فيه هذا المعنى، وهذا من اهتمامات المعجم التاريخي الذي يبحث عن تاريخ الألفاظ ومعانيها المختلفة من خلال تتبع تطورها من أول استعمال لها حتى انقطاعها والمعاني التي ذكرها في هذا النموذج متعددة – على غرار المعاني الأساسية - سنتناولها كلها كما ذكرها على النحو الآتي:

*محمد حسن عبد العزيز، قطار، ص287

* يقصد به لسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 287.

أ- **قطار من الماء:** فالقطار هنا جاء للدلالة على الماء أو المطر، وهذا المعنى في حد ذاته يقول عنه:« يبدو لي أنّ هذا المعنى هو أقدم معاني (قطار) وأقدم ما عثرت عليه من شعر الجاهليين في هذا المعنى»[1].

ففي هذا القول استعمل فيه الضمير أنا(في قوله يبدو لي،عثرتُ) فكان لابدّ من ورود الضمير نحن(يبدو لنا، عثرنا).

ومن ناحية أخرى فإنّ البحث عن أقدم معاني الكلمة اعتمادا على أقدم المصادر التي عثر عليها من الشعر في العصر الجاهلي لهذا المعنى يعدّ من مهمة الباحث المعتمد على المنهج التاريخي الذي يحاول التوفير لنفسه أقدم المصادر لظاهرة لغوية ما أو معنى ما، سواء كانت هذه المصادر نقوشا أو دواوين شعرية أو نصوص...إلخ، وبالتالي فإنّه لم يعثر إلا على بيتيّن من الدواوين الشعرية وهما:

« قول الممزق العبدي (ت ٣٥ ق.هـ):

وأصبح لا يشفي غليل فؤاده قطار السحاب والرحيقُ المرَوَّق. (المفضليات ص٤٣٢)»[2]

« قول بشر بن أبي خازم (ت٢٢ق.هـ):

يُفَلّجن الشفاه عن أقحوان جلاه غبَّ سارية قطارُ. (المفضليات ص٣٣٩)»[3]

وبعد إيراد هذه الشواهد من العصر الجاهلي يقول:« ومما توافر لدينا من شواهدفي الشعر من العصر الإسلامي إلى العصر الحديث»[4]، وهذا ما يدل على أنّ هذا المعنى امتدّ استعماله في العصر الإسلامي حتى العصر الحديث، وبذلك أورد خمسة أبيات ونحن سنذكر البعض منها:

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 287.

[2]-المرجع السابق،الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[4]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

«يقول أبو ذؤيب الهُذلي (ت ٢٧ هـ):

لمن طَلَل بالمنتضى غير حائل عفا بعد عهد من قطار ووابلِ. (ديوان الهذليين ١/ ١٤٠)»[1]

« يقول أبو تمام (ت ٢٣١ هـ):

وكنتُ أعلم علمًا لا كفاء له أن ليس كلُ قطار يُنبتُ العُشُبا. (ديوانه ١/ ٢٤٢)»[2]

« ويقول الملك الأمجد (ت النصف الثاني من القرن السادس الهجري):

فسقى قطارُ المُزن لإبل جوده الهامي منازلَ زينب ورباب. (ديوانه ص ١٢١)»[3]

فكل هذه الشواهد الشعرية استعملت قطار بمعنى الماء أو المطر فكانت هذه الشواهد موافقة لهذا المعنى وكاشفة للثبات الحادث لكلمة قطار، أما ترتيبها فنلاحظ أنّه أوردها مرتبة ترتيبا تاريخيا من أولّ استعمال لها في العصر الجاهلي (عند الممزّق العبدي (ت 35ق.هـ) حتى وفاة الملك الأمجد في النصف الثاني من القرن السدس الهجري وهذا ما يوافق تقريبا أواخر نهاية العصر العباسي، ولكن بالرغم من أنه التزم بالترتيب التاريخي إلا أنه لم يذكر الشواهد التي تمثل العصر الحديث وهذا لأنه أشار سابقا أنه توفرت لديه شواهد من العصر الإسلامي حتى العصر الحديث، فنلاحظ أن هذه الشواهد لا وجود لها في الأبيات التي ذكرها(سيذكرها في صفحات بعيدة عن هذا القسم)، وبالتالي كان ميدان بحثه في هذا المعنى(قطار من الماء) من العصر الجاهلي حتى آخر استعمالاتها في العصر العباسي.

كما يتبيّن لنا من هذا المعنى(قطار من الماء) أنه اعتمد فيه على المصادر المتوفرة من الشعر فقط ولم يحط بمختلف مصادر اللغة العربية للمعجم التاريخي.

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 287.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 288.

ب- قطار من ناس أو إبل: حيث استعملت كلمة قطار أيضا للدلالة على مجموعة من الناس أو الإبل يسيرون وفق نسق معين وأول استخدام لهذا المعنى كان في العصر الإسلامي وهذا اعتبارا للشواهد التي قدمها المنتمية إلى هذا العصر منها:

« جاء في هذا الحديث :" أنّ النبي -صلى الله عليه وسلم – أتى قبر طلحة بن البراء في قطار بالعصَبة فصفَّ وصَفَّنا خلفه". العصبة: موضع بقباء. (ويحمل على الإبل وعلى الناس)

(تهذيب الكمال ٥٤٩/٦)»[1]

« وفي كتب الحديث:أن سفيان الثوري لما بلغه مَقدم الأوزاعي خرج فلقيه بذي طُوى فحلَّ البعير من القطار. (الجرح والتعديل ٢٠٧/١)»[2]

فكلا الشاهدين دلاّ على أن القطار مجموعة من الناس أوالإبل يسيرون في نسق واحد ولكن في هذين الشاهدين لم يؤرّخ فيها استعمال هذا المعنى، فلم يحدد تاريخ وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسفيان الثوري أو العصر الذي ينتميان إليه كما فعل سابقا.

كما أشار إلى أنّ:«هذا المعنى(قطار من الناس والإبل) كثر استعماله في العصر الإسلامي وبعده وأصبح يدل أيضا على النوق والخيل والبغال والحمير والنمل ...إلخ»[3].

وبالتالي أصبح يطلق القطار على كل هذه الحيوانات التي تسير وفق نسق واحد، ومن الشواهد التي تثبت هذا الاستعمال أورد عدة شواهد من الشعر سنذكر البعض منها:

« قول أبي نجيم العِجليّ (ت ١٢٠ هـ):

وانحَتَّ من حرشاءِ فَلج خَرْدَلُهُ وأقبل النملُ قطارا تَنْقُلُهُ.(حرشاء: نبات)(اللسان:ق.ط.ر)»[4]

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 288.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]-ينظر، المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[4]- المرجع السابق، ص 288.

فهذا البيت يدل أن القطار هو مجموعة من النمل يسيرون وفق نسق واحد، أما مصدر هذا الشاهد فلم يشر فيه إلى رقم الصفحة كما فعل سابقا واكتفى بذكر المادة التي أخذ منها هذا البيت وهي ق.ط.ر.

« يقول ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ):

لولا صروف الاختيار لأعنقوا لِهَوًى كما اتسقت جمالُ قطار. (ديوانه ٣/٩١١)»[1]

فالقطار هنا يدلّ على الجمال.

« ويقول كعب بن مشهور:

طوامِسَ يعلوها القتام كأنها قطار نبيط من خرسان صادرُ.

(النبيط: جيل يسكن سواد العراق، وهم الأنباط)»[2]

حيث بيّن من خلال شرحه لهذا البيت أنّ القطار يدل على الناس، ولكن كان يجب أن يعرض المعنى مسبقا لأنه في هذه الشواهد يبيّن الاستعمالات الأخرى للقطار على غرار الإبل والناس، كما نلاحظ أنّ هذا الشاهد (البيت) غير موثوق فيه لأنّه لم يذكر مصدر هذا الشاهد أو الصفحة كما فعل سابقا، كما أنّه لم يحدد تاريخ ميلاد هذا الشاعر (كعب بن مشهور) أو وفاته أو العصر الذي ينتمي ينتسب إليه وهذا ما يعارض منهجه الذي بيّن فيه العكس من ذلك.

«ويقول أبو نواس (ت ١٩٨):

وحُمْلان أبناء السيل تراهُم قطارًا إذا راحوا أمام قطار. (ديوانه١/٥٠٤)»[3]

فكلمة قطار في هذا البيت تدل على الناس، ولكن هذا المعنى كان يجب عرضه سابقا مع الشواهد التي تدل على الناس أو الإبل ،أما من ناحية الترتيب فنلاحظ أنه في الأبيات الثلاثة

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 288.

[2]-المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 289.

الأخيرة لم يراع فيها الترتيب التاريخي لأنه أورد أولا ابن الرومي المتوفى سنة 283 هـ ثم أبي نواس المتوفى سنة 198 هـ، وفي هذا خلط وعدم الالتزام بالتدرج التاريخي الدقيق في إيراد الشواهد، ومن ناحية أخرى فإن كل هذه الأبيات دلت على استخدام القطار للنمل والجمال والناس في حين أشار من قبل أن القطار كثر استعماله أيضا على النوق والخيل والبغال والحمير والنمل...إلخ، وبالتالي يمكننا القول بأن استعمال القطار للخيل والبغال والحمير لم يضع لها شواهد مثل سابقيها وهذا ما يدخل استعمالاتها في دائرة الشك وعدم اليقين لأن الشواهد هي التي تثبت الاستعمال الحقيقي للكلمة، وبعد عرضه لاستعمال "قطار" للدلالة على النسق من الإبل والناس بالإضافة إلى الحيوانات الأخرى صرف إلى عرض هذه الكلمة على المجاز، وهذا ما طبقه في منهج معجمه الذي أقر فيه الفصل بين الشواهد وجعل المجموعة الأولى للاستعمال الحقيقي والمجموعة الثانية للاستعمال المجازي، وهذه الفكرة بدورها أشار إليها إسماعيل أحمد عمايرة سابقا في الفصل الأول* والتي مفادها أن المنهج التاريخي تتبع سيرة حياة اللفظ العربي عبر العصور الزمنية وبيان المعاني الحقيقية للفظ والمعاني المجازية مع تحديد الزمن الذي يعود إليه كل معنى.

ومن الشواهد الشعرية المجازية التي ذكرها نذكر البعض منها:« يقول أبو العلاء المعرّي (ت ٤٤٩هـ):

سلك النجدَ في قطار المنايا قطريّ ونجدة وشبيبُ

(يعني قطري بن الفجاءة، ونجدة بن عويمر وشبيب بن يزيد الشيباني من الخوارج)

(اللزوميات ١/١١٩)»[1]

اعتمد في هذا البيت على شرحه لبعض الأشخاص، وهذا لكي يوضح ويبيّن المعنى الذي يدور حوله هذا البيت، فقد دلّ القطار هنا على: قطار الموت.

* الفصل الأول،ص23.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 289.

« ويقول ابن سهل الأندلسي (ت٦٤٩هـ):

عَودُه في الأصحاب عودُ نُضار وسجاياه إن سمحت قطارُ (ديوانه ص١٢٦)

ويقول الحيص بيص الأمير شهاب الدين أبوا الفوارس (ت ٥٧٤ هـ):

فرَدَّ قطار الجود مني مدائح تحلَّى بها جود تظلّم عاطله (ديوانه١٤١/٤)»[1]

فالقطار هنا يدل على قطار الجود والكرم، وهو معنى مجازي.

ففي البيتيّن الأخيرين لم يراع فيهما الترتيب التاريخي، لأنه يجب أن يسبق بيت أبو الفوارس المتوفى سنة 574 هـ على بيت ابن سهل الأندلسي المتوفى سنة 649هـ ، إلاّ أنه عكس ذلك.

وبعد إيراده للشواهد التي تنصر إلى المجاز يقول أيضا أنّ:«هناك معاني حمّلن على المجاز ولكن لم يتسع المقام لإيراد شواهدها الكاملة»[2]، والمعاني التي ذكرها هي عديدة منها:

« قطار المتهجدين (المنثور لابن الجوزي)

قطار النقلة لحديث رسول الله (وفيات الأعيان،لابن خلكان)»[3]

فهذيّن الشاهدين أشار فيهما إلى مصدر الشاهد وصاحبه ولكنه لم يحدد فيهما رقم الصفحة من الكتاب.

« الكلمات تنثال انثيال القطار على صفحات الأزهار (نفخ الطيب للمقري ٥٠٠/٢)»[4]

فهذه المعاني الثلاثة كلها مجازية، ولكن لم يحدد لها تاريخ استعمالها وهذا ما يفقدها قيمتها التاريخية.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص289.

[2]- المرجع السابق ، الصفحة السابقة .

[3]- المرجع السابق، ص 290/289.

[4]- المرجع السابق، ص 290.

ج- قطار من السكة الحديدية: فالقطار أصبح يعني مجموعة من عربات تسير على السكة الحديدية،وبذلك اعتبر محمد حسن عبد العزيز أنّ« ظهور هذا المعنى كان في أعوام ١٨٥٢م١٨٥٤م،١٨٥٦م عندما مدت مصر بالسكة الحديدية من القاهرة إلى الإسكندرية»[1].

أي أنّ ظهور هذا المعنى يوافق العصر الحديث.

وبعد ذلك يقول :« وأقدم ما عثرت عليه في مصادري ما كتبه رفاعة الطهطاوي من السكة الحديدية في كتابه (مناهج الألباب)١٨٦٩م مستخدما كلمة الوابور للقطار، يقول في ذلك شعرا:

العقل في الوابور حار نبغي الجواب ولا يحير

يجري على عجل كبار في رسم شكل مستدير. (مناهج الألباب ١٢٥،١٢٦)»[2]

نلاحظ مما سبق أنّه استعمل صيغة المتكلم (أنا) في قوله:عثرت، مصادري، في حين يجب ورود نون الجماعة (نحن)،أي يقول:عثرنا،مصادرنا إلاّ أنّ معظم ما قاله كان باستعمال الضمير نحن.

أما حديثنا عن هذا الشاهد الشعري فإنه لم يدلّ على معنى محدّد يكشف الثبات لكلمة قطار، لأنه استعمل فيه كلمة الوابور وليس القطار.

وبعد هذا الشاهد يذكر بأنّ:«علي مبارك (١٨٩٣م) يكتب عن السكة الحديد في كتابه (علم الدين) ١٨٨٣م مقالا إضافيا يذكر فيه القطار ويسمي القاطرة التي تجرّه (باخرة)

(علم الدين ١/٨٩،٨٨،١٠٧)»[3]

فرغم إشارته أنّ علي مبارك تكلم عن القطار في كتابه،إلا أنه لم يذكر هذا المقال ولو نصا قصيرا منه.

---

[1]- ينظر، محمد حسن عبد العزيز، ص 290.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

وفي أخير هذه الشواهد يقول:«الرافعي يذكر في كتابه (عصر إسماعيل) أنّ السلطان عبد العزيز حين زار مصر سنة ١٨٦٣م ركب القطار من الإسكندرية إلى القاهرة، وقد تملكه العجب،لأنه لم يكن قد رأى القطارات في حياته من قبل. (عصر إسماعيل ٧٩/١)»[1]

ففي الشاهدين الأخيرين لم يلتزم فيها بالترتيب التاريخي،لأنه أورد ظهور هذا المعنى في كتاب علم الدين 1883م، ثم ذكر أنّ السلطان عبد العزيز زار مصر سنة 1863م، فيبدو أنّ كتاب الرافعي أسبق بأن يذكره من كتاب علم الدين.

ولكن من جهة أخرى يبدو أنه اعتمد على مصادر مختلفة من العلوم والمتمثّلة في هذه الكتب:علم اللغة (مناهج الألباب)،الدين(كتاب علم الدين)،التاريخ (عصر إسماعيل)، وهذه صفة إيجابية التزم بها، والتي تعد خاصية من خصائص المعجم التاريخي الذي لا يكتفي بدراسة معنى اللفظ عبر الأزمنة عند اللغويين والأدباء فقط بل يكون في مختلف مجالات العلوم.

قطار في الشعر العربي: حيث أشار في بداية هذا العنصر أنّ« الشعراء المحدثون استعملوا كلمة قطار بمعنى الماء مثل سابقيهم»[2]، وهذا ما أكده بعض الشواهد الشعرية وهي:

«يقول أحمد شوقي (ت ١٩٣٢م):

وكأنما طوفان نوح ما نَرى والفلك قد مُسِخت حثيث قطار

يقول خليل مطران يشكر السيدة هانم شعراوي (ت ١٩٤٩م)

ينبوع إحسان وبرَّ جرى أصفى وأنقى من قطار الندى (ديوانه ٣٨٧/١)»[3]

نلاحظ أنّ البيت الأول لم يشر فيه إلى مصدر الشاهد والصفحة، على عكس البيت الثاني الذي التزم فيه بذكر المصدر والصفحة، كما نستنتج من هذين البيتين أنّ القطار استعمل أيضا

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 290.

[2]- المرجع السابق، ص 291.

[3]- المرجع السابق ، الصفحة السابقة.

في العصر الحديث بمعنى الماء، وما يمكننا قوله في هذا المعنى أنه أورده متأخرا، فمن المفروض إيراده سابقا إثر حديثه عن "قطار من الماء"، الذي توقف الاستشهاد عليه عند الملك الأمجد المتوفى في النصف الثاني من القرن السادس الهجري (أي العصر العباسي)، وإذن كان من اللازم أن يدرج هذين الشاهدين بعد الملك الأمجد مباشرة ليدلان على العصر الحديث، وحتى يكون أيضا المعنى مرتبا ترتيبا تاريخيا منظما، ولأنه خلط هذا المعنى بالمعنى الذي نتحدث عنه وهو قطار من السكة الحديدية. وبعدها أشار إلى أنّ« ظهور قطار السكة الحديدية هو الذي أثار قرائح الشعراء، وهذاما شغلهم أن يتحدثوا عن المعنى القديم (قطار الماء)، وكذلك فإن بعضهم يسمون قطارمن السكة الحديدية بقطار النار»[1].

فهنا حاول أن يبّين أنّ ظهور قطار من الماء قلّ استخدامه بسبب ورود معنى جديد للقطار وهو السكة الحديدية، أو قطار النار.

وبعد ذلك يقدم لنا بعض الشواهد على هذا المعنى - قطار النار- منها:

«يقول نجيب الحداد (ت ١٨٩٩م):

لنا غنًّى عن قطار السحب منسجما ولا غِنى عن قطار النار مضطرما

ويقول نسيب أرسلان (ت ١٩٣٧م):

وأجرى سفيان البحر في اللّج منسجما ومشى قطار النار في البيد يهذف»[2]

فبالرغم من أنّ هذين الشاهدين أكدا على " قطار النار" إلا أنه لم يشر فيها إلى مصدريهما أو الصفحة.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 291.

[2]- المرجع السابق ، الصفحة السابقة.

وبعد عرض الدلالة الحقيقية لكلمة قطار(قطار من السكة الحديدية) ذكر عنصر آخر وهو:« مما حمل على المجاز في العصر الحديث مثل: قطار الرحمة، قطار السعادة،قطار التنمية، قطار العمر، وفاته القطار، وفاتها قطار الزواج»[1].

فكل هذه الدلالات المجازية التي ذكرها لم يستشهد عليها من النصوص أو الشعر أو غيره وهذا ما يجعل هذه المعاني مشكوك فيها، كما أنه من المفروض أن يتناول هذه الدلالات المجازية من قبل إثر حديثه عن الدلالات المجازية للقطار(بعد قطار من الناس والإبل).

وفي الأخير نستنتج أن هذا النموذج (قطار) حمل ثلاثة معاني أساسية كما أشار إليها سابقا، إلا أنه أورد المعاني المختلفة للقطار مع الاستشهاد عليها من النصوص الشعرية وبالإضافة إلى ذلك يمكننا القول أنه أهمل ناحية مهمة تتعلق بكشف التطور الدلالي الذي طرأ على قطار من خلال اتساع معناه أو تطبيقه أو استقراره أو اضطرابه،وهذا ما أكده الشاهد البوشيخي في تعريفه للمعجم التاريخي الذي أشرنا إليه سابقا*،كذلك لم يبيّن العلاقة التي تربط بين المعاني الثلاثة الأساسية، فالقطار كان يدل على الماء ثم أصبح يدل على الإبل والناس الذين يسيرون في نسق واحد، فنلاحظ أنه لا علاقة بين المعنى الأول والثاني، في حين المعنى الثالث للقطار(مجموعة من السكك الحديدية) نلاحظ أنه أقرب إلى المعنى الثاني لأن هذا المعنى (مجموعة من الإبل أو الناس يسيرون في نسق واحد) والمعنى الثالث (مجموعة من العربات يسيرون وفق نسق واحد في السكة الحديدية) تربطها علاقة مهمة وهي النسق الواحد أي أنّ المعنى الثاني تطور مفهومه من الإبل إلى السكة الحديدية، وهذا كله لم يذكره محمد حسن عبد العزيز واكتفى بذكر المعاني المختلفة للقطار مع إيراد شواهدها فقط دون أن يحاول معرفة العلاقة التي تربط بين المعاني المختلفة.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 291.

* الفصل الأول، ص18.

ونقطة مهمة أهملها في هذا النموذج وهي تبيين جذر الكلمة (قطار) ومشتقاتها ومحاولة معرفة أصلها الذي تنتمي إليه، التي قد تكون معرفة أو دخيلة أو أصلية، إلا أنه اعترف في خطة منهجه أنّ« معالجة المداخل بهذه الطريقة يتطلب إحاطة أوسع بكل الاستعمالات المعروفة في المصادر وهذا عمل لا يمكن لفرد أن يقوم به ولا تتوافر لديه متطلباته»[1] .

كما نلاحظ في هذا النموذج أنه اعتمد على التاريخ الهجري في إيراد الشواهد التي تنتسب إلى العصر الجاهلي والإسلامي والعباسي، في حين اعتمد في العصر الحديث على إيراد التاريخ الميلادي، فمن المفروض أن يلتزم بمنهجية واحدة وأن يورد التاريخ الهجري فقط من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث لأنه هو الأحق بالتأريخ.

[1]- ينظر، محمد عبد العزيز، ص 284.

2-ذرّة*

أورد هذه المفردة ضمن العناصر الآتية:

أ- على الحقيقة:

-في القرآن الكريم

-في الحديث النبوي.

ب- على المجاز:

-في القرآن الكريم.

-الذرّة في الشعر العربي حتى العصر الحديث

-من شواهد استعمال الذرة في العصر الحديث

- الذرّة مصطلحا في علم الكلام والفلسفة

- الذرّة مصطلحا في علم الطبيعة والكيمياء في العصر الحديث.

لقد صدر الحديث في هذا النموذج بعرضه لمعاني "ذرّة" على الأوجه الثلاثة وشرحها شرحا موجزا وهي كالآتي:

«على الحقيقة: نملة أو جزء صغير من مادة.

على المجاز: الغاية من الصغر.

في المصطلح العلمي: أصغر جزء في عنصر ما، يمكن أن يدخل في تفاعلات كيميائية»[1].

وهذا الشرح الموجز هو ما طبقه في منهجه الذي ذكر فيه أنه:« صدر الحديث عن الكلمة

*محمد حسن عبد العزيز، ذرة، ص 292

[1]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

المدروسة بتعريف موجز لجوانبها اللغوية: الدلالية الشكلية وتطورها اللغوي»[1].

وبعد هذا الشرح الموجز أخذ يشرح كل معنى على أساس شواهده وهي كالآتي:

أ- **على الحقيقة:** وفي هذا الوجه ذكر أنّ الذرة تحتمل ثلاث معاني وهي:«

1) الذرة هي النملة

2) الذرة اسم يرى في شعاع الشمس الداخل من النافذة.

3) الذرة جزء صغير من مادة، ذرة ملح أو دقيق أو فلفل»[2].

وبعد ذكر هذه المعاني تطرق بعد ذلك إلى الاستشهاد عليها أولها:

«في التاج واللسان: قيل لصغار النمل وللمنبث في الهواء من الهباء الذرُّ، واحدته ذرَّ والذرّ صغار النمل واحدته ذرَّ، قال ثعلب: إن كل مائة منها زنة حبة من شعير وكأنها جزء من مائة»[3].

فهذا القول دلّ على أنّ الذرة هي صغار النمل أو هي ذرة قمح وشعير، ولكنه جمع في هذا القول بين معجمين في شاهد واحد، في حين كان من المفروض ورود كل شاهد لوحده حتى يكون المعنى دقيقا، كذلك في هذا الشاهد لم يذكر رقم الصفحة ولم يحدد تاريخ صدور الكتاب أو وفاة صاحبه مثلما فعل سابقا، وهذا ما يفقد هذا النص قيمته التاريخية.

ثم يذكر بعد هذا الشاهد أنّ: «الذرة هي ما يرى من شعاع الشمس الداخل من النافذة. وقيل:الذرة ليس لها وزن وفي الأساس* : وذرَّ الملح على اللحم، والفلفل على الثريد فرقه فيه.

وأقدم ما لدينا من شواهد على هذه الدلالة قول امرؤ القيس (ت ٨٥ ق.هـ):

---

[1]-محمد حسن عبد العزيز، ص 285.

[2]- المرجع السابق، ص 292.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

* يقصد به أساس البلاغة للزمخشَري.

من القاصرات الطرف لو دبَّ مُحْولُ من الذرِّ فوق الإتب منها لأثرا. (ديوانه ص ٢٨)»[1]

فهذا الشاهد الشعري لم يبيّن فيه أي المعاني السابقة الدالة عليه، لأنه أورد سابقا عدة معاني للذرة في حين نلاحظ أنه قدّم شاهد واحد للدلالة على معنى واحد دون تحديده وهذاما يقودنا إلى الشك في اعتبار المعنى الحقيقي الذي يحمله هذا البيت.

وبعد ذلك يذهب إلى إيراد بعض الشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على هذه المعاني الحقيقية للذرة، حيث صنّف هذه الشواهد كالآتي:

« **في القرآن الكريم:** لقد استشهد بثلاثة آيات هي: ﴿إِنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠] .

﴿وما يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذرَّةٍ فِي الأَرضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٢١].

﴿فَمَن يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة: ٨،٧].

ففي هذه الآيات الثلاثة مثقال ذرة تحمل دلالة حقيقية التي هي:وزن الذرّة أو هي النملة أو هباءة، كما قد تحمل دلالة مجازية فتدل على ذرّة الظلم، ذرة علم، ذرّة خير أو شر»[2].

وبالإضافة إلى شرحه لمعنى ذرة من خلال الآيات فقد قدم تفسيرا لذرّة عند الطبري شارحا فيه الدلالة الحقيقية لمثقال ذرّة وفي هذا يقول:« وفي تفسير الطبري: عن ابن عباس في قوله: "مثقال ذرَّة" قال: رأس نملة حمراء، وقال يزيد بن هارون:زعموا أنّ هذه الذرّة الحمراء ليس لها وزن.

(تفسير الطبري٨/٣٦،٣٦١)»[3]

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص292.

[2]- ينظر، المرجع السابق، ص 293/292.

[3]- المرجع السابق، ص 293.

ولكن بالرغم من أنه دعم شرح هذه الآيات بتفسير الطبري(الذي بيّن أن الذرّة هي أيضا النملة) إلاّ أنه لم يؤرخ لهذا التفسير ولم يحدّد سنة ولادة صاحبه أو وفاته وهذا ما يجعلنا لا نعرف تاريخ استعمال المعنى عند الطبري، وبالتالي أغفل هنا ناحية مهمة وهي التسجيل الدقيق لتاريخ المعاني التي تحملها الكلمة.

وفي نهاية هذه الشواهد القرآنية أشار إلى أنّه:«في الكشاف*: الذرّة: النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله: مثقال نملة، وعن ابن عباس أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال: كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء في الكورة ذرة. (الكشاف ٢٦٨/١)»[1]

وما يمكننا قوله عن هذا الشاهد أنه لم يضع له تاريخ معيّن(ميلاد صاحبه أو موته) واكتفى بذكر مصدر الشاهد في السطر الأخير وهو الكشاف مع تحديد الصفحة ولكن هذا بدوره لا يمدّنا بتاريخ استعمال هذه المعاني الموجودة فيه (ذرة: نملة أو هي هباء).

كما يتبادر لنا أنّ هذا الشاهد يعتبر مصدرًا معجميا وليس من القرآن الكريم إذ أنه أشار سابقا عن تناوله الشواهد في القرآن الكريم، فكان من المفروض أن يدرج هذا الشاهد من قبل أثناء إشارته إلى المعاجم الأخرى مثل: لسان العرب وتاج العروس وأساس البلاغة، ومن جهة أخرى فإنّ كل هذه الشواهد الواردة في القرآن الكريم دلّت على أن ذرة هي النملة الصغيرة أو هي الهباء الذي يخرج من شعاع الشمس، في حين المعاني الأخرى مثل: ذرة الملح والفلفل... لم يضع لها شواهد تثبت استخدامها.

في الحديث النبوي: لقد أورد ثلاثة أحاديث نبوية تثبت استخدام كلمة ذرة وهي:«ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة. (صحيح البخاري ١٥٠/١).

* يقصد به الكشاف للزمخشري.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 293.

وفي حديث آخر: ... من كان في قلبه ذرة أو خردل من إيمان.

وفيه أيضا: فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة»[1].

فالحديث الثاني والثالث لم يذكر فيها مصدر الشاهد في السطر الموالي له ورقم الصفحة في حين كان من اللازم التوثيق الدقيق للشواهد.

وبعد ذلك يشير إلى أنّ:«تفسير ذرة في هذه الأحاديث تحمل معنيين، المعنى الأول حسي (دلالة حقيقية) والمعنى الثاني عقلي (دلالة مجازية)»[2]، إلا أنه لم يبيّن ما هي المعاني الحسية والعقلية التي تحملها هذه الأحاديث، وبهذا أصبحت هذه الأحاديث تحتمل عدة احتمالات حول المعاني الواردة فيها.

ومن جهة أخرى نلاحظ في بداية هذه الأحاديث أنه لم يذكر فيها صاحب الشاهد، فكان من المفروض أن يقول: قال الرسول- صلى الله عليه و سلم-: "...".

ومن كل ما سبق عن تناول " ذرة" على الدلالة الحقيقية التي تحمل عدة معاني نستنتج أنه لم يراع فيها الترتيب التاريخي ولم يتناول كل معنى على حدى مع شواهده المتوفرة من أول استخدام له حتى انقطاعه، بل أورد المعاني الحقيقية كلها مع بعضها دون ترتيبها تاريخيا.

ب - على المجاز: فبعد عرض كلمة ذرة على الحقيقة انصرف إلى عرضها على المجاز، وهذه خاصية مهمة اتّبعها، لأن الباحث المعتمد على المنهج التاريخي يتتبع الجانب الحقيقي من اللفظ ثم الجانب المجازي، كما أنه راع في هذه النقطة ما أكده في منهجه وهو جعل المجموعة الأولى للاستعمال الحقيقي والمجموعة الثانية للاستعمال المجازي.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 293.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

فقد اعتبر أن الذرة في المجاز هي:«الغاية من الصغر وخفة الوزن وقلة الرجحان»[1].وبعد ذلك قدم شواهد من القرآن الكريم للذرة وهذه الشواهد هي:

«﴿إِنَّ الله لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، وَإِن تكُ حسنةً يُضاعِفها﴾ [النساء: ٤٠] .

﴿فَمَن يَعْمَل مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَه، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَه﴾ [الزلزلة: ٨،٧].

(والمعنى: وزن ذرة من ظلم، ووزن ذرة من خير أو شر، وفسرت أيضا على الدلالة الحسية وزن ذرة، النملة أو الهباءة تظهر في شعاع الشمس)»[2].

وما يمكننا قوله من هذه الآيات أنه من المفروض أن يقول في البداية: قال الله تعالى:﴿...﴾ ولا يرد الآية مباشرة.

ومنه فإن كل الشواهد القرآنية التي ذكرناها سابقا سواء في الحقيقة أو في المجاز نلاحظ أنها تحمل معنيين (معنى حقيقي ومعنى مجازي)، ولهذا نلاحظ أنه اعتمد على التكرار، لأنه أورد المعاني المجازية للذرة في سياق حديثه عن الدلالة الحقيقية للذرة ثم أعاد ذكرها أثناء عرضه للذرة مجازا.

الذرة في الشعر العربي حتى العصر الحديث: أشار في هذا العنصر إلى ما توافر لديه من شواهد شعرية على استعمال الذرة من شعراء عصور اللغة العربية حتى العصر الحديث، فقد أورد العديد من هذه الشواهد نذكر البعض منها:

« يقول حسّان بن ثابت (ت ٥٤هـ):

لم تفُتْها شمسُ النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم.

لو يدِبُّ الحَوليُّ من ولد الذَّرْ رِ عليها لأندبتها الكلوم. (الجاحظ:البيان والتبيين ٢٨/٤)

يقول الطرماح (ت ١٠٥هـ) يهجو بني تميم:

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 293.

[2]-المرجع السابق،الصفحة السابقة.

ولو جمعت يومًا تميم جموعها على ذرَّةٍ معقولة لاستقلت.

(ذرة معقولة: نملة مشدودة بالعقال، استقلت: نهضت لقتال تميم) (ديوانه، ص٦٤)»[1]

ففي البيت الثاني اعتمد على شرحه بعض الكلمات حتى يبيّن أنّ معنى الذرة يقصد به النملة (وهي دلالة حقيقية)، أما البيت الأول فلم يبيّن فيه معنى الذرة.

« يقول أبو نواس (ت ١٩٠، ١٩٥هـ):

كيف مواتاة من عليه أهونُ من ذرةٍ حياتي. (ديوانه ٢٠١/١)»[2]

فهذا البيت لم يبيّن فيه المعنى الذي تحمله الذرة وإذا بقي غامضا، أما من ناحية التوثيق فإنه لم يحدّد بالضبط تاريخ وفاة الشاعر وبقيّ يحتمل تاريخين.

«ويقول محي الدين بن عربي، وهي أول قصيدة ظهرت من قلبه على لسانه (ت ٦٣٨هـ):

أنا نور النور قد برزت بوجود ذرة الظلم. (ديوانه ص ٢)»[3]

فهذا البيت دلّ على أنّ الذرة تحمل معنى مجازي وهو: ذرة الظلم.

« ويقول ابن الجياب الغرناطي (ت ٧٧١هـ):

تحسب الطودَ ذرّة من حجاه وترى البحر قطرةً من بنانه»[4]

يقصد بالذرّة هنا أيضا النملة، ولكن هذا الشاهد لم يشر فيه إلى مصدره ورقم الصفحة وهذا ما يجعله غير موثوق فيه.

[1]-محمد حسن عبد العزيز، ص 294.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 295.

[4]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

من شواهد استعمال الذرة في العصر الحديث: سنذكر بعض الشواهد في ذلك منها:

« يقول البارودي (ت ١٩٠٤ م):

فلا تطلبن في الناس مثقال ذرة من الودِّ أُمُّ الوُدِّ في الناس هابلُ (ديوانه،٢٩/٢)»[1]

فيقصد هنا بذرة الود(وهي دلالة مجازية).

« يقول معروف الرصافي (ت ١٩٤٥م):

ولو الشمسُ ضوعفت ألف مرة لم تكن في أثيره غير ذرة.

ويقول صالح الشرنوبي (ت ١٩٥١م):

قل له غن قدرت ما أنت في الكون سوى ذرة من الذرات. (ديوانه ص ٣٥٧)»[2]

فكل هذه الشواهد الشعرية - وإن لم نذكرها كلها – التي أوردها في الشعر العربي إلى العصر الحديث هي شواهد تمثل كل العصور الأدبية من العصر الإسلامي ثم الأموي ثم العباسي حتى العصر الحديث، وهذا ما طبقه في خطته، ولكن بالرغم من ذلك فإن هذه الشواهد لم تكن دالة على معنى واحد يكشف التغير أو الثبات للكلمة، لأن بعض الأبيات دلت على الدلالة الحقيقية للذرة منها النملة... وبعضها جاء للدلالة المجازية فدلت على ذرّة الظلم وذرّة الودّ وغيرها... وهذا ما عارض خطة منهجه التي ذكر فيها أن:«عدد الشواهد تكون دليلا على معنى محدد يكشف التغير أو الثبات الحاصل للكلمة»[3].

كما يمكننا القول إنّ هذه الشواهد الشعرية من العصر الإسلامي حتى العصر الحديث من المفروض أن يعرضها سابقا حينما عرض مفهوم الذرة على الحقيقية ويدرج هذه الشواهد الشعرية مع الشواهد الأخرى (القرآن والحديث) وعدم الفصل فيما بينها، أما الشواهد الشعرية التي تحمل المجاز

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 296.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]-المرجع السابق، ص 285.

فمن المفروض إيرادها سابقا إثر عرضه لذرة على المجاز،أي أنه فصّل بين الشواهد القرآنية والحديث النبوي والشواهد الشعرية في حين كان يستلزم إيراد كل هذه الشواهد مع بعضها مع الحفاظ على الترتيب التاريخي فيها، وهذا ما يتطلبه المعجم التاريخي للغة العربية.

أما من ناحية المنهجية فنلاحظ أن الشواهد القديمة التي اعتمد عليها من شعر ونثر وقرآن وحديث (المستمدة من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي) اعتمدعلى التواريخ الهجرية، أما الشواهد الحديثة اعتمد فيها على التواريخ الميلادية، في حين كان يجب عليه التزام منهجية واحدة في كل الشواهد أو إيراد التاريخ الميلادي والهجري معا، إلاّ أن التاريخ الهجري هو الأحق بأن يعتمد عليه.

وبعد عرض نموذج ذرة على الحقيقة والمجاز كما درسناه سابقا لم يكتف بدراسة مدلول هذه الكلمة في الاستعمال العام بل انصرف به الأمر إلى تناول مدلولها الخاص في علمين مختلفين وهما: الفلسفة وعلم الطبيعة والكيمياء وهما كالآتي:

الذرة مصطلحا في الكلام والفلسفة:

فقد أشار في البداية أن:« المفكرون القدماء من اليونان والهنود والعرب كانوا يبحثون منذ زمن بعيد في ماهية المادة وفيما تتألف منه الأجسام وقد اختلفوا في هذا البحث»[1].

وبعد ذلك أورد عدة شواهد من كتب الفلسفة تبين هذا الاختلاف وتوضّح أيضا استخدام مصطلح الذرة في الفلسفة وأول هذه الشواهد التي قدمها فيها:« أما بعض فلاسفة اليونان فقد ذهبوا إلى أن الجسم يتألف من أجزاء صغيرة لا تنقسم، وحاولوا تعيين خصائصها ومنهم ديمقريط (٤٦٤-٣٧٠.ق.م)، وأنكر ذلك من فلاسفة اليونان مفكرون مثل أرسطو (٣٨٤-٣٢٢.ق.م).

(د.أبو ريدة،مذهب الذرة، ص:ب)»[2].

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 297/296.

[2]- محمد حسن عبد العزيز، ص 297.

ولكن بالرغم من أنه أورد هذا الشاهد من الفلسفة اليونانية التي تبيّن أنّ الجسم يتألف من أجزاء صغيرة إلا أنّ هذا الشاهد لا يثبت استعمال مصطلح الذرة عند الفلاسفة.

وبعد الفلسفة اليونانية أورد شواهد من الفلسفة الإسلامية في قوله: « والغالبية العظمى من متكلمي الإسلام أخذت بمذهب الجوهر الفرد أو مذهب الذرة في تعبيرنا الحديث،وتتردد في كتبهم العبارات:الجزء الذي لا يتجزأ، والجزء الواحد، والجوهر الواحد، الذي لا ينقسم، كما استعملوا لفظي الجزء والجوهر باختصار. (س. بينيس مذهب الذرة ص ٤)»[1].

فهذا الشاهد بيّن لنا أنّ الذرّة استعملت أيضا بمعنى الجوهر أو الجزء الذي لا يمكن تقسيمه ولكنه لم يعط لمصطلح الذرة تاريخ استخدامها الخاص لأنه أورد صاحب الشاهد دون الإشارة إلى وفاته أو ميلاده وبالتالي لو نعرف أي وقت ورد هذا المعنى.

كما يقول بعد ذلك:« إنّ بعض المستشرقين يؤكدون بأنّ الألفاظ العربية التي استخدموها في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي هي الألفاظ المترجمة عن اليونانية، فإن اللفظين العربيّن اللذين استخدما للتعبير عن الذوات وهما " لا يتجزأ" و"لا ينقسم" هما ترجمة للفظين اليونانيينaTομον و aslalotov»[2].

فهذا الشاهد وإن كان يثبت استخدام الذرة إلا أنه غير موثوق به لأنه لم يحدد فيه صاحبه ولا المصدر الذي أخذ منه في حين أنّ المعجم التاريخي للغة يستلزم التوثيق الدقيق لمصادره.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 297.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

وبعدها يقول بأنّ: «أوّل من أشار إلى أن الجزء الذي لا يتجزأ عند القدماء هو الذرة atom عند العلماء المحدثين هو المستشرق الفرنسي ماسينيون (ت ١٩٦٢) في محاضراته بالجامعة المصرية القديمة عام ١٩١٢م/١٩١٣م »[1].

نلاحظ أن النصوص السابقة كلها تتّفق على أنّ مصطلح الذرّة يدل على الجزء الذي لا يتجزأ ولا يمكن تقسيمه، كما اعتمد في هذا المصطلح على التتبع الدقيق لمدلوله من أول استخدام له المتمثل في الفلسفة اليونانية حتى آخر استعمالاته في العصر الحديث،أيّ أنّه عالج هذا المصطلح تاريخيا، وبالإضافة إلى ذلك فقد تميّز في هذا المصطلح بخاصية مهمة وهي أنه أرّخ لمدلول الذرة لا من خلال النصوص فحسب بل من خلال تفسيرات وكتابات عنها وهذا ما يلقي عليها ضوءا عظيما على تاريخها اللغوي وهذا ما جاء موافقا لمنهجه.

الذرة مصطلحا في علم الطبيعة والكيمياء في العصر الحديث:

حيث أورد عدة شواهد من النصوص تبيّن استخدام هذا المصطلح في علم الطبيعة والكيمياء وكل هذه الشواهد هي من العصر الحديث، وهذا ما يبيّن لنا أنّ هذا المصطلح بدأ استعماله في هذا العصر، ومن هذه الشواهد يقول:

« تفترض النظرية الذرية atomic theory التي افترضها (دالتون) (١٧٦٦- ١٨٤٤م) أنّ العناصر تتكون من جسيمات غاية في الصغر ولا تقبل التجزئة وتسمى ذرات.

وقد نجح نيلس بور(١٨٨٥م-١٩٣٢م) في تصوير الذرة من الداخل بأنها مكونة من إلكترونات تدور في مدارات ثابتة حول النواة وبهذه النظرية نجح في تصوير ذرة الهيدروجين، وترجع فكرة الذرّة إلى الفيلسوف اليوناني ديمقريطس (٤٦٠-٣٧٠ق.م) الذي رأى أنّ العالم يتكون

[1]-محمد حسن عبد العزيز،ص 298/297.

من شيئين: فراغ لا مادة فيه ومادة تملأ الفراغ، وأنّ هذه المادة تتكون من جسيمات بالغة الصغ(ذرات لا تتجزأ) لا ترى بالعين. (د.أحمد زويل، عصر العلم)»[1].

نلاحظ في هذا الشاهد أنه لم يراع الترتيب التاريخي لمصطلح الذرة، لأنه أشار في الأول أن دالتون هو الذي افترض النظرية الذرية وبعد ذلك يشير إلى أنّ ديمقريطس هو الذي ترجع له فكرة الذرة، فيجب هنا أن تسبق فكرة ديمقريطس على نظرية دالتون.

كما أنه عند إشارته إلى مصدر الشاهد وصاحبه (عصر العلم لأحمد زويل) لم يشر فيه إلى رقم الصفحة التي أخذ منها هذا النص.

ومما توافر لديه من المصادر أيضا هو أن«المستشرق الفرنسي(ماسينيون) في عام ١٩١٣/١٩١٢م تحدث عن مفهوم الذرة في العلم الحديث ونقل إلى العربية أن نظرية أفوجادو ١٨١١م ١٩١٢ على أقل جزء من العنصر يمكن دخوله في تركيب كيماوي وأنّ نظريات أكثر حداثة قد ظهرت فيما بعد عن انهزام الجزيء و انهدام الذرة...إلخ.

(محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ص ٦،٠٩)»[2].

وفي أخير مصادره يصرح بقوله:« لم يتوافر لدي- حتى الآن- مصادرلاستعمال مصطلح ذرّة في الفترة التي تلت محاضرات (ماسينيون) حتى بداية الأربعينيات»[3].

ففي هذا القول يوجد خطأ منهجي يتمثل في تكلّمه بصيغة المتكلم أنا فكان يجب عليه أن يقول :" لم يتوافر لدينا" وهذه هي المنهجية الصحيحة.

وفي الأخير يذكر لنا مجموعة من المقالات تبيّن استخدام الذرة في هذا العلم ومن هذه المقالات التي ذكرها:

---

[1]- ينظر، محمد حسن عبد العزيز، ص 298.

[2]- المرجع السابق، ص299/298

[3]- المرجع السابق، ص 299.

«مقال بعنوان القوى المذخورة في الذرة عام ١٩٣١م.ج ٧٨.

في عام ١٩٣٢م ظهرت عدة مقالات بعنوان (تركيب الذرّة وحلها) ج ٨١، وتحطيم الذرة وإطلاق قوتها) ج ٨١، (و بعد تحطيم الذرة) ج ٨١... ثم توالت بعد ذلك عدة مقالات من بينها:

مقال بعنوان (علاقة البروتون والكهرباء بالذرّة)ج ١١٨ (الذرّة والإنسان) ج ١١٨ اللّذين ظهرا عام ١٩٥١ م»[1].

فكل هذه المقالات تدلّ على تطور مفهوم الذرة من المعنى القديم إلى المعنى الحديث الذي له علاقة بعلم الكيمياء والفيزياء، إلا أنه لو يورد ما جاء في هذه المقالات وذكر عناوينها فقط.

وفي الأخير نستنتج أن هذا النموذج "ذرة" لم يراع فيه الترتيب التاريخي للشواهد باعتباره أنه اعتمد على التفريق بين الشواهد فأورد الشواهد القرآنية لوحدها ثم من الحديث ثم من الشعر العربي ثم الذرة في علم الكلام والفلسفة ثم في علم الطبيعة والكيمياء، في حين كان الأمر يستدعي تناول الذرة في مختلف المراحل التاريخية مع إيراد شواهدها المتنوعة دون عزل الشواهد وهذا ما يقتضيه المعجم التاريخي للغة العربية.

كما أنّه في هذا النموذج لم يبيّن جذر الكلمة ومشتقاتها التي تعدّ عملية أساسية في دراسة الألفاظ تاريخيا ولكنه في هذا السياق يعترف في خطته أنّ« المنهج يقتضي أن ينطلق المدخل من الجذر إلى مشتقاته وهذا ما يتطلب إحاطة أوسع بكل الاستعمالات المعروفة في المصادر وهذا العمل يعتبره محمد حسن عبد العزيز صعب لا يمكن لفرد واحد أن يقوم به»[2].

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 299.
[2]- المرجع السابقة، ص284

3- سياسة *

أورد هذه المفردة ضمن العناصر الآتية:

أ- على الحقيقة.

ب- على المجاز

السياسة في الشعر العربي حتى العصر الحديث

السياسة في الشعر العربي الحديث

تأصيل مصطلح السياسة

السياسة في المصطلح الفقهي

السياسة في المصطلح الفلسفي

سياسة في العصر الحديث

بدأ الحديث في هذا النموذج بعرض دلالته على الحقيقة والمجاز وتقديم شرح موجز لكل منها على النحو التالي:

«على الحقيقة: سياسة الدواب

على المجاز: سياسة الناس أو الأمور»[1].

فبعد الشرح الموجز لكل من الدلالتين اتجه إلى تقديم الشواهد المختلفة والفصل بينهما حيث جعل المجموعة الأولى للاستعمال الحقيقي والمجموعة الثانية للاستعمال المجازي وهذاما طبقه في منهجه الذي أقرّ فيه ذلك وهذه الشواهد كالآتي:

* محمد حسن عبد العزيز، سياسة، ص 300

[1]- المرجع السابق ،الصفحة نفسها.

أ-**على الحقيقة:** تطرّق في بداية الأمر إلى تقديم التعاريف اللغوية للسياسة من خلال المعاجم اللغوية وفي ذلك يقول:« في أساس البلاغة هو يسوس الدواب، وهو من ساستها وسُوَّاسها، وفي اللسان والتاج: والسياسة فعل السائس، وهو من يقوم على الدواب ويروضها(يُوَطئها ويذللها ويعلمها السيّر)»[1].

نلاحظ مما سبق أنه جمع بين لسان العرب وتاج العروس، فمن المفروض ورود كل معجم لوحده مع المعنى الذي يشير إليه، ومن ناحية أخرى فإنّ كل هذه التعاريف المأخوذة من المعاجم لم يحدد تاريخ استعمالها وهذا ما يجعل هذه الشواهد غير تاريخية، كما نلاحظ أنهلم يشر إلى رقم الصفحة في هذه المعاجم كما فعل سابقا.

فبعد ذلك يقول أنّ:«أقدم الشواهد التي توفرت لديه في هذا المعنى (سياسة الدواب) هي عن أسماء بنت أبي بكر تتحدث عن زوجها الزبير بن العوام: كنت أعلف فرسَه، وأكفيه مؤونته وأسوسه»[2].

ففي هذا الشاهد لم يذكر مصدره والصفحة، كما لم يعط تاريخ معين لهذا الشاهد.

«وفي رواية: وكان له فرس، وكنت أسوسه، ولم يكن من الخدمة شيء أشدُّ عليَّ من سياسة الفرس. مسند الإمام أحمد بن حنبل»[3] .

لم يشر هنا إلى رقم الصفحة، كما لم يعط لهذا الشاهد أيضا تاريخ معين.

ومنه نستنتج أنّ هذيّن الشاهديّن أثبتا أنّ الاستعمال الحقيقي للسياسة هنا يدلّ على الفرس (سياسة الدواب).

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 300.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]-المرجع السابق، الصفحة السابقة.

ومن ناحية أخرى فإنّ كل هذه الشواهد من البداية لم يضع لها تواريخ وبالتالي فإنه لم يرتبها ترتيبا تاريخيا.

ب -على المجاز: عرض في البداية بعض الشواهد لهذا المعنى(سياسة الناس أو الأمور) من المعاجم اللغوية وهو في ذلك يقول:« وفي أساس البلاغة " هو يسوس الرعية، ويسوس أمرهم ويُسَوِّس أمرهم"، وفي اللسان والتاج: ومن المجاز يقال: سُوّس فلان أمر الناس– على ما لم يسم فاعله- إذا صُيِّر ملكا أو مَلَكَ أمرهم، والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه»[1].

ففي هذا القول أيضا جمع بين معجم لسان العرب وتاج العروس في قول واحد في حين يجب ورود كل مصدر لوحده، كما أنّ هذه المعاجم الثلاثة لم يحدد تاريخ نشوئها أو صاحبها (ميلاده أو وفاته) حتى يمكن التعرّف على التاريخ الحقيقي لاستعمال هذا المعنى كما لم يشر إلى رقم الصفحة في هذه المصادر.

وبعد ذلك يشير إلى أنّ: « أقدم الشواهد المتوفرة في هذا المعنى المجازي منها:

قول خُرقة بنت النعمان بن المنذر (جاهلية):

فبينا نسوس الناسَ و الأمرُ أمرُنا إذا نحن سُوقة نتصنف.

(نسوس الناس: ندبر أمرهم بما نريد، فطاعتنا واجبة وأحكامنا نافذة، إذا نحن سوقة نتصنف: صِرنا سوقة نخدم الناس) (شرح ديوان الحماسة للزوزني ص ١٢،٣)

وقول خُراشة بن عمرو العبسي (جاهلي):

فلا قوم إلا ونحن خير سياسةً وخير بَقِيَّات يقين وأوَّلا (المفضليات، ص٤٠٥)»[2].

فهذين البيتيّن أثبتا أنّ المعنى المجازي للسياسة هو: سياسة الناس أو الأمور.

[1]-محمد حسن عبد العزيز، ص 301.

[2]- المرجع السابق، ص 301/300

ومن ناحية أخرى فإنه حدّد العصر الذي ينتمي إليه الشعراء وهذا ما ذكره في خطته أنه: «حينما يتعسر وضع تاريخ الميلاد أو الوفاة يذكر العصر الذي ينتسب إليه الشاعر»[1].

«وفي الحديث النبوي:" كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبيّ خلفه نبيّ"

صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، أي: تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية.

(النهاية لابن الأثير)»[2].

فهذا الشاهد يدلّ أيضا على المعنى المجازي، أيّ سياسة الناس أو الأمور، فهذا الحديث يبيّن لنا أنّ هذا المعنى امتد استعماله إلى العصر الإسلامي إلا أنّه لم يحدد تاريخه بالضبط، كما لم يذكر رقم الصفحة في مصدر الشاهد.

أما ترتيب كل الشواهد المجازية فقد أوردها مختلطة، فمن المفروض أن يترك التاج واللسان وأساس البلاغة في آخر هذه الشواهد باعتبار أنّ تاريخها بعد الحديث النبوي أي بعد العصر الإسلامي.

" السياسة" في الشعر العربي حتى العصر الحديث:

يقول في هذا العنصر أنه:« في الشعر العربي من عصر بني أمية حتى العصر الحديث هناك شواهد كثيرة وجمع فيها ما يقارب مائتي بيت لاستعمال كلمة السياسة»[3].

ذكر لنا في معجمه أربعة عشر بيتا فقط*، و نحن نذكر البعض منها:

«يقول مجنون ليلى (ت ٢٠هـ):

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 285.

[2]- المرجع السابق، ص 301.

[3]- ينظر،المرجع السابق، الصفحة السابقة.

* المرجع السابق، هذه الأبيات من ص 303/301.

يسوس وما يدري لها من سياسة يريد بها أشياء ليست تريدها»[1]

فهذا البيت لم يشر فيه إلى مصدر الشاهد والصفحة وهذا ما يجعل غير موثوق فيه.

«يقول أبو تمام (ت ٢٣١هـ ،٨٤٦ م):

ساس الجيوش سياسة ابن تجارب رمقنه عينُ المُلْك وهو جنين. (ديوانه ٣/٣١٧)»[2]

«يقول تميم بن المعز الفاطمي (ت ٣٧٤هـ ،٩٨٤م):

ورثت سياسة مَهْدِيَّها وحَزت شجاعة منصورها. (ديوانه ص ١٦٧)»[3]

« ويقول أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) في حكام عصره:

إذا الرئاسة لم تُعَنْ بسياسة عقليه خَطِئ الصوابَ السائسُ. (اللزوميات ٢/٨٨٧)»[4]

«ويقول لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ):

تحوط أمور الملك منذ سياسة حباها من اللطف الإلهي تدبير»[5]

لم يشر في هذا البيت إلى مصدر الشاهد و الصفحة.

وفي آخر هذه الشواهد الشعرية يشير أنّ:«هناك قصيدة فريدة تُعرف بأنجم السياسة نسبها عبد الله كنون إلى أبي محمد عبد الله محمد بن عيسى بن المالقي (ت ٥٧٤هـ) والقصيدة تلم بمجمل قواعد تدبير الملك وأصول السياسة وتعليلها وبيان حكمتها، ويشير إليه بقوله:

هاذي السياسة لاحت بعض أنجمها ما كل نجم رصدناه قصدناه.

(معجم اللغة العربية بالقاهرة، البحوث والمحاضرات د ٣٩/ص ٣٢٨)»[6]

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 301.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 302.

[4]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[5]- المرجع السابق، ص303.

[6]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

ومنه فإن كل هذه الأبيات دلّت على المعنى المجازي للسياسة (سياسة الناس أو الأمور) ولم تدل على المعنى الحقيقي الذي تطرقنا إليه سابقا (سياسة الدواب)، وفي رأينا إيراد هذه الشواهد الشعرية سابقاإثر عرضه للسياسة على المجاز.

أما من ناحية تأريخ هذه الشواهد فنلاحظ أنه اعتمد على في بعضها تاريخ وفاة شاعرها على التاريخ الهجري فقط، في حين بعض الأبيات مثل أبي تمام وتميم بن المعزّ الفاطمي أورد التاريخ الهجري بالإضافة إلى التاريخ الميلادي، إلا أنّ هذه المنهجية لم يلتزم بها في جميع الشواهد وأورد التاريخ الهجري فقط.

ومن جهة أخرى فإنّ معظم الشواهد الشعرية رتبها ترتيبا تاريخيا (بحسب وفاة صاحبها) إلاّ في الأبيات الأخيرة لم يراع ذلك لأنه أورد لسان الدين بن الخطيب (ت 776 هـ) ثم في الأخير ذكر بن المالقي (ت 574هـ)، فمن المفروض أن يذكر بيت لسان الدين بن الخطيب هو الأخير باعتباره هو آخر الشعراء وفاة.

أما الشواهد الشعرية التي تمثل العصر الحديث فقد أوردها في عنصر لوحدها وفصلها عن الشواهد الأخرى التي أوردها مع بعضها في مختلف العصور.

السياسة في الشعر العربي الحديث: حيث يشير هنا أن:« الشواهد الشعرية في العصر الحديث لا حصر لها لاستخدام كلمة سياسة»[1]، وقد أورد لنا العديد من هذه الشواهد نذكر البعض منها:

« يقول محمود سامي البارودي (ت ١٩٠٤م):

وخلَّنا من سياسة درجت بين أناس قلوبهم وَغِرة (ديوانه ١/٤١٠)»[2]

« ويقول وليّ الدين يكن في رجال العصر الحميدي (ت ١٩٤٩م):

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 303.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

بغال تسوس الأُسْد شر سياسة وما ساد أسدا قبل ذاك بغال (ديوانه ص ٤٢)»[1]

«ويقول معروف الرصافي (١٩٤٥م):

فأوطانكم لن تستقل سياسةً إذا أنتم لم تستقلوا بها فكرا (ديوانه ص ٥١)»[2]

«ويقول علي جارم (ت ١٩٤٩م):

سياسة حقد أين من نفثاتها لعابُ الأفاعي أو سموم العقارب

(يعني سياسة أوروبا ضرب فتوح محمد علي بالشام) (ديوانه ص ٤٣)»[3]

فهذه الشواهد الشعرية المنتمية إلى العصر الحديث تدور أيضا حول المعنى المجازي وهو سياسة الناس أو الأمور، وفي رأينا كان عليه أن يورد هذه الشواهد أيضا أثناء عرضه للسياسة على المجاز(الذي توقف الاستشهاد عليه في العصر الإسلامي) حتى تكون هذه الشواهد مرتبة تاريخيا حسب العصور، كما نلاحظ أيضا أن الشواهد المنتمية إلى العصر الحديث اعتمد فيها على التاريخ الميلادي في حين العصور السابقة اعتمد فيها على التاريخ الهجري وهذا ما يؤدي إلى الخلط في الترتيب الزمني للشواهد.

تأصيل مصطلح السياسة: في هذا العنصر تمّ الإحاطة بخاصية مهمة في المعجم التاريخي وهي معرفة الأصل الحقيقي (الجذر) للفظ، الذي قد يكون معرّبا أم دخيلا أم أصليا، وهذا ما أشارت إليه نادية رمضان النجار في قولها:« إنّ المعجم التاريخي يهتم ببيان أصول الكلمة في لغات أخرى تنتسب إلى مجموعة لغوية، كاللغات السامية التي تنتسب إليها العربية»[4]، وفي هذا يقول محمد حسن عبد

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 304.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[4]- نادية رمضان النجار، مناهج البحث في اللغة والنحو، ص 136.

العزيز عن السياسة:« من الواضح أنها كلمة عربية من جذر عربي هو (س و س)، بيد أنّ هذه الكلمة في العصر المملوكي اختلطت كلمة تشبهها إلى حدٍّ ما نطقًا ومعنًى»[1].

فحاول من هذا القول أن يبيّن أن كلمة سياسية من أصل عربي بحت بيّد أن سياسة اختلطت بها عدة كلمات تثبت أنها غير عربية،بحيث أورد في هذه الكلمة عدة شواهد من النصوص نذكر البعض منها:

«قال الخفاجي (ت ١٠٦٩) في شفاء الغليل: سياسة قيل هو معرَّب (سه يسا) وهي لفظة مركبة أولاها أعجمية والأخرى تركية، ف(سه) بالفارسية: ثلاثة و(يسا) بالمغولية:الترتيب فكأنه قال التراتيب الثلاثة، وسببه على ما في(النجوم الزاهرة) أنّجنكزخان (ت ٦٢٤هـ ،١٢٢٧م) ملك المغول قسم ممالكه بين أولاده الثلاثة، وأوصاهم بوصايا ألاّ يخرجوا عنها، فجعلوها قانونا وسمّوها بذلك، ثم غيروها فقالوا: سياسة.(شفاء الغليل س و س)»[2]

فهذا القول بيّن لنا أنّ كلمة السياسية هي معربة من الفارسية والمغولية.

« يتحدث المقريزي (ت ٨٤٥) عن نظام الحُجَّاب الذي ابتدعه المماليك: وكانت أحكام الحجَّاب أولاّ يقال لها حكم السياسة وكانت تختص بها بين الأجناد من مخاصمات واختلافهم في أمور الاقطاعات، وهي لفظة شيطانية لا يعرف أكثر الناس في هذا الزمان أصلها، وإنما هي كلمة مغولية أصلها ياسة، فحرّفها أهل مصر وزادوا بأولها سينا فقالوا سياسة وأدخلوا عليها الألف واللام فظنّ من لا علم عنده أنها كلمة عربية. (المقريزي، المواعد والاعتبار ٣/٣٥٩،٣٦٠)»[3]

نستنتج من هذا القول أنّ كلمة السياسة أصلها مغولية كانت تستعمل بلفظ الياسا ثم نقلت إلى اللغة العربية بلفظ السياسة ثم تغير معناها.

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 304.

[2]- المرجع السابق، ص 305/304.

[3]- ينظر، المرجع السابق، ص 306/305.

وما يمكننا قوله في – تأصيل مصطلح السياسة- أنه حاول فيه تبيين الجذر الحقيقي لها ولكن يستلزم أن يذكر هذا العنصر في بداية هذا النموذج ويذكر أيضا مشتقات سياسة المختلفة، إلا أنّه يعترف في منهج معجمه أن:«هذا المنهج يقتضي أن ينطلق المدخل من الجذرإلى مشتقاته إلا أن معالجة المداخل بهذه الطريقة يتطلب إحاطة أوسع بكل الاستعمالات المعروفة في المصادر وهذا عمل لا يمكن لفرد أن يقوم به ولا تتوافر لديه متطلباته»[1].

ورغم ما تناوله من معاني مختلفة للسياسة حقيقية ومجازية إضافة إلى السياسة في الشعر العربي لم يكتف بمدلول السياسة في الاستعمال العام بل تناول مدلولها في الاستعمال الخاص في علمين وهما علم الفقه والفلسفة وحدّد أيضا مدلولها وما حدث من تغير في كل مجال، وهذا ما طبقه في منهج معجمه، والعلمين الذي تطرّق إليهما هما:

السياسة في المصطلح الفقهي: يشير في البداية إلى أنّ«أقدم المصادر التي توفرت عنده عن السياسة مصطلحا فقهيا هو ما ورد في الأحكام السلطانية لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠هـ)»[2] .

فتاريخ وفاة الماوردي 450 هـ يمثل العصر العباسي، وهذا ما يبيّن لنا بدوره أن ظهور هذا المصطلح كان في هذا العصر.

« يقول الماوردي في هذا الكتاب: الإمامة العامة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا... وأما الإمارة الخاصة فهو أن يكون الأمير مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة، وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام ولجباية الخراج والصدقات»[3].

[1]- ينظر،محمد حسن عبد العزيز، ص 284.

[2]- المرجع السابق، ص 306.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

فالسياسة التي يقصد بها من هذا القول هي سياسة الدنيا، وبالإضافة إلى ذلك فإنه لم يشر إلى رقم الصفحة من الكتاب كما فعل سابقا.

أما الشاهد الثاني فيقول فيه:« إنّ بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) يستخدم مصطلح (السياسة الشرعية) في كتابه "السياسة الشرعية" ويعني به ما على الراعي والرعية من حقوق وواجبات مستندا في ذلك إلى القرآن وسنة الرسول وسنة أصحابه وتعكس أقسام الكتاب وأبوابه هذا الفهم»[1].

فالسياسة هنا تدل على الحقوق والواجبات التي تقع على الراع والرعيّة.

ويقول أيضا أنه:« لقد شاع بين الفقهاء منذ وضع الماوردي كتابه "الأحكام السلطانية"أو "السياسة الشرعية" و"السياسة المدنية" مترادفة، وبينهم اختلاف في حق الحاكم في وضع قوانين سياسية لتدبير أمور الناس...الموسوعة الفقهية (سياسة)

والشائع في كتبهم أنّ السياسة هي القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأموال بيّد أنّ معانيها التي لحقتها،معنى العقوبة،والعقوبة عندهم عقوبة مقدرة شرعا،وهي الحدود والقصاص، وعقوبة غير مقدرة شرعا، وهي التعزيز، وهي ما يطلق عليه السياسة، ومن ثمّ يرون أنّ السياسة فعل شيء من الحاكم يراها وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي.

الموسوعة الفقهية (سياسة)»[2].

نستنتج ممّا سبق أنه في الشاهد الأول والثاني اعتمد على التدرج التاريخي في إيرادهما إلا أنه في الشاهدين الأخيرين لم يحدد أي تاريخ للموسوعة الفقهية، وهذا ما أفقد هذا الشاهد قيمته التاريخية، كما أنه لم يحدد رقم الصفحة في كلاهما.

[1]- ينظر،محمد حسن عبد العزيز، ص 307.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

السياسة في المصطلح الفلسفي: أشار إلى أنّ:«أقدم استعمال معروف لكلمة سياسة عند الفلاسفة ما جاء في ترجمة عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢هـ) لمقدمة (فرفريوس الصوري) المعروفة بإيساغوجي أو المدخل»[1] وبعد ذلك أورد عدة شواهد سنذكر الأهم منها:

« يقسم ابن المقفع الحكمة أو الفلسفة إلى قسمين: العلم والعمل.

يقول عن العمل: "وهو التدبير والسياسة، وهو ثلاثة أقسام:سياسة العامة، كسياسة الأمصار والكور، وسياسة الخاصة كسياسة الرجل أهل بيته، وسياسة خاصة الخاصة كسياسة الرجل على أخلاقه وأعماله". (منطق أرسطو ص٢ .٣)»[2]

ويقول أيضا:«ونجد المعنى نفسه عند ابن بهريز (ت ٢٥٢هـ) في ترجمته لإيساغوجي يقول :" والعمل ثلاثة أقسام، فمنه السياسة العامة، وسياسة خاصة وسياسة المرء نفسه..."

(منطق أرسطو ص ١١٠)»[3]

فهذا الشاهد يدل على أن هذا المعنى امتد استعماله من ابن المقفع (ت 142) حتى عند ابن بهريز (ت 252 هـ).

« ويلخص الخوارزمي (ت٣٨٠ أو ٣٨٧ هـ) معارف عصره في تعريف الفلسفة العملية، فيقول: هي ثلاثة أقسام،أحدهما: تدبير الرجل نفسه أو واحدًا خاصًا، ويسمى علم الأخلاق، والقسم الثاني تدبير الخاصة، ويسمى تدبير المنزل، والقسم الثالث تدبير العامة، وهو سياسة المدينة والأمة والملك. (مفاتيح العلوم ص ١٣٢)»[4]

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 309.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[4]- المرجع السابق،ص 310/309.

ففي هذا الشاهد أورد تاريخين لوفاة صاحبه، في حين يجب التحديد الدقيق للتواريخ.وفي أخير شواهده يقول:« في القرن الثالث والرابع الهجريين تنتشر كلمة السياسة بين الكتّاب والحكماء عنوانا لكتب أو رسائل، وقد كان كتاب (السياسة) لأفلاطون وأرسطو متداولين في هذا العصر ومنها على سبيل المثال: كتاب الرسالة الكبرى في السياسة، وكتاب سياسة العامة، وهما للكندي (ت ٢٥٠هـ)، وكتاب السياسة الصغير والسياسة الكبير لأحمد بن الطيب السرخسي(ت ٢٨٦هـ)، وكتاب سياسة لُقسطا بن لوقا (ت٣٠٠ هـ)، وكتاب السياسة لقدامة بن جعفر(ت ٣٣٧هـ)، وهذا بالإضافة إلى ما كتبه الفرابي:

1) رسالة في السياسة.
2) سياسة المدينة، طبع حيدر آباد بعنوان السياسات المدنية.
3) كتاب الألفاظ الأفلاطونية وتقويم السياسة الملوكية والأخلاق»[1] .

فكل الشواهد الواردة في المصطلح الفلسفي لم تتّفق على معنى واحد للسياسة بل تعددت المعاني فيها عند الفلاسفة، ومن ناحية أخرى فإنه راعى في هذه الشواهد الترتيب التاريخي(حسب تواريخ الوفاة)، إلا أنّه في الشاهد الأخير هناك تناقض في بعض التواريخ، لأنه قال:في القرن الثالث والرابع الهجري تنتشر كلمة سياسة...،ولكن تواريخ وفاة الكتّاب الذين ذكرهم لا يتجاوزون القرن الثالث هجري مثلا:الكندي (ت 250هـ) وأحمد بن الطيب السرخسي (ت 286هـ) ينتميان إلى القرن الثاني هجري، وقدامة بن جعفر(ت 337 هـ) ينتمي إلى القرن الثالث الهجري، إلا أنّ القرن الرابع ليس له ظهور في هذا الشاهد، إذن كان من اللازم أن يقول في بداية هذا الشاهد: وفي القرن الثاني والثالث هجري تنتشر...إلخ.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 310.

وبالإضافة إلى ذلك فهذا الشاهد لم يذكر فيه مصدره الذي أخذ منه ولا الصفحة وهذا ما يجعل هذا الشاهد غير موثّق.

السياسة في العصر الحديث: في آخر هذا النموذج خصص تناول كلمة سياسة في العصر الحديث، وبذلك يقول أنّ:«أقدم مصدر توفرت لديه في استعمال كلمة سياسة في مطلع النهضة العربية الحديثة وهو ما ورد في كتاب عجائب الآثار للجبرتي(ت١٢٤١هـ - ١٨٢٥م)»[1] الذي يقول في هذا الكتاب: «ورد من بين شروط الصلح بين الفرنسيين والعثمانيين والانجليز:لينتخب رجل لينهي المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها ببلاد الانجليز.

(عجائب الآثار ١٤٢/٥)»[2]

رغم أن هذا الشاهد هو أقدم المصادر إلاأنه لم يثبت استعمال سياسة، كما أنه اعتمد على التاريخ الهجري والميلادي أيضا في وفاة الجبرتي،إلا أنّ معظم تواريخ الوفاة التي أوردها كانت بتاريخ واحد فقط، ثم يذكر لنا العديد من الشواهد (النصوص) لا يمكن الإحاطة بها كلها نذكر البعض منها والمهمة:

« كان صاحب الفضل الأوفى في استعمال كلمة (سياسة) وتضمينها معنى الكلمة الفرنسية politique رفاعة الطهطاوي(١٨٠١- ١٨٧٣)، فقد استعملها في (مناهج الألباب) يفصل القول في معناها يقول:" إنّ الأصول والأحكام التي بها إدارة المملكة تسمى فن السياسة الملكية، والبحث في هذا العلم ودوران الألسن فيه، والتحدث به، والمنادمة عليه في المجالس والمحافل، والخوض فيه الفازيتات، عمل ذلك يسمى (بوليتيقة)، أي سياسة، وينسب إليه فيتال (بوليتيقي)، أي سياسي، فالبوليتيقة هي كل ما يتعلق بالدولة وأحكامها وعلائقها وروابطها.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 310.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

(مناهج الألباب ط ٢ ص ٣٥٠)»[1]

وضع في هذا الشاهد تاريخ رفاعة الطهطاوي وهو التاريخ الميلادي إلاّ أنه لم يحدد رمزه (م)،كما بيّن في هذا القول بالتفصيل معنى السياسة التي عرفت تطورا في العصر الحديث.

كما يقول أيضا أنّ هناك:« كتاب ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للشيخ حسين المرصفي (١٨١٠-١٨٩٠) وهو (رسالة الكلم الثمان) يعرّف فيه السياسة بأنها:"تدبير شؤون الناس، ومن شأنها تحديد الأعمال وتقدير القيم وإلزام الكل بالعمل، ولكل إنسان حظًّا من السياسة باعتباره راعيا ومسؤولا عن رعيته وهو السياسة الخاصة، أما السياسة العامة فهي تختص بجماعة من الناس أوتوا نصيبا أوفر من العلم والحلم والفهم والعزم". (رسالة الكلم الثمان ص ١١٩)»[2]

ففي هذا الشاهد نلاحظ خطأ في إيراد التواريخ لأنه قال في البداية أنّ هناك كتاب ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في حين أن تاريخ المرصفي (1810-1890 م)، يقابل القرن الثامن عشر، فمن المفروض أن يقول:ثمة كتاب ظهر في النصف الثانيمن القرن الثامن عشر...

وبعد ذلك يشير إلى أنه« بانتشار الصحافة والمنتديات الخطابية يذيع استعمال كلمة سياسة بين الأدباء والسياسيين فيما ينشرونه في الصحف أو يتحدثون به في المحافل»[3].

ويقول أنّ:«أديب إسحاق (١٨٥٩م-١٨٨٥م) يستعملها،إذ يتحدث عن الحرية السياسية ويعرّفها بأنّها الفعل الذي تجيزه القوانين، بل يشير كذلك إلى ما لحق كلمة سياسة والسياسي من تغيّر معناها، إذ تستعمل - أيضا- بمعنى الكذب والمراوغة. (الدرر ١ ص ١٣١)»[4]

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 311.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 312/ 313.

[4]- المرجع السابق ، ص 313.

وبعد ذلك يشير إلى أنّ: « جمال الدين الأفغاني (ت ١٨٩٧م) أنشأ جمعية العروة الوثقى بباريس وهذه الجمعية كانت تدرس جريدة " العروة الوثقى" التي ظهرت في مارس ١٨٨٤م،وفي هذه الجريدة ترددت كلمة السياسة وما اشتق منها، ومن أمثلة ما جاء في العدد الأول: لا تهف في تبليغ الشرقيين ما يمسهم من حوادث السياسة العمومية وما يتداوله السياسيون في شؤونهم.

(العروة الوثقى ص ٨٠٧)»[1]

« وتتردد كلمة (سياسة) وما هو منها بسبب في كتاب (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) الذي ألفه المفكر العربي والإسلامي الكبير عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨- ١٩٠٢) وترتبط الكلمة عنده بقوة بمفهوم الاستبداد الذي يعرف أنه: تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف من تبعة. (طبائع الاستبداد، ص ١٨)»[2]

وفي الأخير نستنتج أنّ السياسة في العصر الحديث شهدت عدة معاني، والشواهد السابقة تثبت ذلك، وبالتالي فقد اعتمد في هذه الشواهد - سياسة في العصر الحديث على خاصية مهمة وهي إيرادها وفق تاريخها، أيّ رتبها ترتيبا تاريخيا دقيقا(مراعاة ترتيب تواريخ الوفاة) من 1825 حتى 1912م ،أما إذا نظرنا إلى هذا النموذج (سياسة) بصفة عامة، فصحيح أنه عالج عناصره تاريخيا منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث إلا أنّه فصل بين الشواهد وعالج السياسة في كل مجال على حدى، فقد عرض في البداية: السياسة على الحقيقة ثم على المجاز ثم السياسة في الشعر العربي حتى العصر الحديث ثم السياسة في المصطلح الفقهي ثم في المصطلح الفلسفي وأخيرا السياسة في العصر الحديث، وجعل لكل عنصر من هذه العناصر شواهده الخاصة، فكان من المفروض أن يجمع بين كل هذه الشواهد ويدرس التغيرات التي لحقت بالسياسة من أقدم استعمال لها حتى المصادر الحديثة، بحيث يقدم لكل

[1]- ينظر، محمد حسن عبد العزيز، ص 313.

[2]-المرجع السابق ، ص 315.

معنى شواهده المتوفرة من هذه العناصر دون التفرقة بينها، وهذا حتى تعالج كلمة سياسة معالجة تاريخية دقيقة.

4-زنّار*

أورد هذه المفردة ضمن العناصر الآتية:

الزّنار في الشعر العربي في العصر الجاهلي

في العصر الإسلامي

في العصر العباسي

الزُّنَّار في التاريخ العربي

صدر الحديث في هذا النموذج بتعريف موجز لجوانبها اللغوية، الشكلية والدلالية وهذا ما طبقه في منهجه إلا أنه لم يذكر تطورها اللغوي وهذا ما لم يطبقه، وهذا التعريف الموجز هو:

«زُنار: ج زنانير وزُنَّارة جُ زنارات.

زُنّير: لغة في زُنار.

والزُّنار:ما يلبسه الذميُّ على وسطه.

والزنار: ما يتزنّر به أهل الذمة(عن الخليل في العين)»[1].

وبعد ذلك يحاول أن يتعرّف على أصل كلمة زنّار ويقول في ذلك:«الكلمة من اليونانية sav'apiov زوناريون، وفي الأرامية: زونرا أوزنرا، ثم منها انتقلت إلى العربية زُنَّار،وقد استعمل الأقباط المصريون الكلمة اليونانية(زوناريون) وعدّوا هذه القطعة من الملابس من ملابس الكهنوت»[2].

فهذا القول يبيّن لنا أنّ كلمة زُنّار هي ليس عربيّة أصيلة بل انتقلت من اليونانية والأرامية، ولكن بالرغم مما قاله فإنه لم يستطع التعمق الدقيق لمعرفة الجذر الحقيقي لهذه الكلمة،وهذا ما اعترف به في منهجه بأن:« المنهج يقتضي أن ينطلق المدخل من الجذر إلى مشتقاته وهذا ما يتطلب إحاطة

*محمد حسن عبد العزيز، زنار،ص 316.

[1]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

أوسع بكل الاستعمالات المعروفة في المصادر وهذا العمل لا يمكن لفرد القيام به لوحده، ولا تتوفر لديه متطلباته»[1] .

وبعد ذلك يذهب إلى تناول معنى الزنّار في الشعر العربي وذلك بتقديم الشواهد في كل عصر بدءا من العصر الجاهلي ومنتهيا في العصر العباسي، بحيث لم يسبق له أن صنف الشواهد حسب العصر الذي تنتمي إليه - وهي صفة إيجابية- وهذه الشواهد هي كالآتي:

الزُنّار في الشعر العربي في العصر الجاهلي: يقول أنّ:«أقدم ما عثرنا عليه من الشواهد قول عَدِي بن زيد العِبادي (ت ٣٥ ق هـ ،٥٩٠ م):

رُبَّ نارِ بتُّ أرمُقها تقضم الهنديَّ والغارا.

عندها ظبي يؤرثها عاقِدٍ في الخَصْر زُنَّارا. (ديوانه ص ١٠٠)»[2]

ففي هذا العصر أورد لنا هذا الشاهد الشعري فقط،وهذا ما يدل على قلّة استعمال الشعراء الجاهليين للفظ زُنَّار.

في العصر الإسلامي:يقول في هذا العصر: «لم نجد له شاهدا»[3]، هذا ما يبيّن لنا أن زُنَّار لم يستعمل عند شعراء العصر الإسلامي ولكن كان من المفروض أن لا يذكر هذا العصر لعدم احتوائه على أيّ شاهد.

في العصر العباسي: أورد ثلاثة عشر بيتا شعريا نذكر البعض منها:

«قال أبو نواس (ت ١٩٨هـ):

حتى إذا نقلت كاساتها خُرد من بين ذي قُرطُق أو ذاتِ زُنَّار.

(القرطق: قباء،ثوب يلبس فوق الثياب،وهو معرب كُرْتَه) (ديوانه ٤٢٣/١)

[1]- ينظر، محمد حسن عبد العزيز، ص 284.

[2]- المرجع السابق، ص 216.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

قال ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ):

وزانه من بني العِباد رشًّا بالجيد والمقلتين سَحَّار

ابن نصارى يدينُ دينَهم حَدَّثَ عنه بذاك زُنَّر. (ديوانه ص ٢٢٩).

قال ابن الوكيع التِّنِّيسي (ت ٣٩٣هـ- -١٠٠٣م):

قد غيَّب الزُّنارَ دقةُ خَصْرَه حتى ظننّاه بلا زُنَّار. (ديوانه ص ٦٠)

قال أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ --١٠٥٧م):

كم مسلم عَبَد الهوى فوجدته فيما يُحلُّ كعاقد الزُّنَّار (ديوانه ٧٨٣/٢)

قال ابن خفاجة (ت ٥٣٣هـ --١١٣٨م):

لَبِس المَجرَّ على سواد فخلتُه مُتَنزها قد شدَّ من زُنَّار (ديوانه ص ١٥٩)

وقال ابن الحناط الأعمى (ت ٤٣٧هـ):

كم بتُّ فيك على اللذات معتكفًا والليلُ مُدَّرِعٌ ثوبًا من القار.

كأنه راهب في المِسْحِ ملتحفٌ شدَّ المُجِدُّ له وسطًا بزنار.

(نفح الطيب،المقري،٥٠٣/١)»[1].

فكل هذه الشواهد تمثل العصر العباسي،إلاّ أنه من ناحية أخرى اعتمد في تأريخ لوفاة صاحبها على التاريخ الهجري وما يقابلها بالميلادي في بعض الشعراء إلاّ أن البعض الآخر أورد التاريخ الهجري فقط فيجب التزام منهجية واحدة.

كما أنَّ الشاهد الشعري الأخير والذي قبله لم يردها بحسب التدرّج التاريخي،فمن المفروض إيراد ابن الحناط الأعمى المتوفى سنة 437هـ ثم ابن خفاجة المتوفي 533 هـ.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 216 و بعدها.

وفي الأخير نستنتج أنّ كل الشواهد الشعرية من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي تثبت استعمال كلمة زُنَّار في هذه العصور(إلاّ العصر الإسلامي والعصر الأموي الذي لم يذكره)، إلاّ أنّه لم يحدد المعنى أو المعاني المختلفة للزنّار التي حملتها هذه الشواهد الشعرية.

وفي آخر شواهده يشير إلى أنّ«هناك شواهد أخرى تجري في هذا المجرى في العصر المملوكي والعثماني واختفت الكلمة في العصر الحديث، فلم نجد له شاهدا»[1].

فرغم إشارته إلى أنّ هناك شواهد في العصر المملوكي والعثماني للزنّار إلاّ أنّه لم يذكرها وهذا ما يجعل هذا القول مشكوك فيه،لأن المعنى يثبت بالشواهد، وأما قوله عن العصر الحديث لم يجد فيه أي شاهد هذا يثبت لنا بدوره أن كلمة زنّار لم تستعمل في العصر الحديث بل توقفت عند العصر العباسي.

الزُّنَّار في التاريخ العربي: قدّم لنا في بداية هذا العنصر تفسيرات تاريخية عن معنى الزنار ويقول في ذلك :«أن المسحيين كانوا في الشرق يعدون المِنطقة أو الزنار من الملابس الكهنوتية بحيث اعتبروها قطعة من الملابس، وأقدم ما عثر عليه من رسوم في هذه القطعة يعود إلى القرن الثامن ميلادي ومازالت هذه القطعة مستخدمة في الكنائس الشرقية والغربية على سواء.

(الكنائس القبطية، بتلر ج ٢ ص ٨٨،١٠٢)»[2]

كما يقول بأنّ :«قضية الزنار كانت تثار كلبا مميّز للنصارى واليهود والمجوس بظهور الإسلام وبانتشاره في البلاد التي تدين بالنصرانية واليهودية والمجوسية،وكانت المطالبة بشدّ الزنّار

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 318.

[2]- ينظر، المرجع السابق، الصفحة السابقة.

في كثير من الأحيان مرتبطة بحالات الحرب والفتن والاضطرابات والتي قد تتطلب التمييّز بين المسلمين وغيرهم ممن تحت الحكم الإسلامي»[1].

فهذا القول لم يشر فيه إلى مصدر الشاهد كما فعل في القول السابق، وبعد هذه النصوص ذهب إلى إيراد الشواهد المختلفة من النصوص التاريخية التي تثبت استعمال الزنار إلاّ أنه توسع فيها كثيرا وكاد يخرج عن موضوع الدراسة ونحن نذكر النصوص التي تهمّنا، منها:

يقول أنّ:« أقدم نص لدينا يذكر فيه لفظ الزنار أو الزنانير هو:ما ورد في كتاب الخراج لأبي يوسف (١١٣-ت ١٨٢هـ):"لا يترك أحد منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه ولا في مركبه ولا في هيئته، وأن يؤخذوا بأن يجعلوا في أوساطهم الزنارات" وقد فسر أبو يوسف المقصود بالزنار بأنه " مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه كل واحد منهم" وفسر الغرض من ذلك بقوله:" يُعرَف زيّهم من زيّ المسلمين" (الخراج، لأبي يوسف ص ١٢٧)»[2]

فالزنّار ظهر أولا عند المسحيين وهو ثياب كانوا يلبسونه لتميّزهم عن زيّ المسلمين.

«وفي كتاب الأم للإمام الشافعي (ت ٢٠٥هـ) نموذج لعهد مقترح يكون بين المسلمين وأهل الذمة، وهو يكاد يطابق عهد عمر، يقول فيه، وعليكم أن تلبسوا الزنانير من فوق جميع الثياب والأردية وغيرها حتى لا تخفى الزنانير...

(الأم، كتاب الجهاد والجزية، باب إذا أراد الإمام كتاب صلح، ج ٥،ص٤٧٣)»[3].

فالزنّارفي هذا القول استعمل عند المسلمين لتفرقة بينهم وبين أهل الذمة.

« وفي ترجمة حنين بن إسحاق المترجم والطبيب (ت ٢٦٤هـ) يقول ابن أبي أصيبعة :" وخدم حنين بالطب المتوكل، وحظي في أيامه، وكان يلبس زنّارًا.

[1]-محمد حسن عبد العزيز، ص 318.

[2]- المرجع السابق، ص 319/318.

[3]- المرجع السابق،ص 319.

(عيون الأنباء ص ٢٦٢، ٢٦٤)»[1]

كما أشار أنه:«في أيام الفاطميين كان لا يسمح لأهل الذمة باستخدام المسلمين الأعمال الحقيرة، وفرض عليهم الزنار حول أوساطهم، وحمل الصلبان أو القرامي بزنة خمسة أرطال في أعناقهم.

هامش (٢) اتعاظ الحتف (٥٣/٢)»[2]

« وفي العصر العثماني كان يطلب من أهل الذمة أن يرتدوا ملابس خاصة ومنها القلانس والزنانير تميزهم عن المسلمين...

(المجتمع المصري تحت الحكم الإسلامي، ميكل ونتر، ص ٣١٥)»[3]

« وثمة أحداث وقعت دفعت بعض الحكام إلى التشدد في ارتداء الزي الخاص بأهل الذمة في السنوات ١٥٨٠م، ١٥٩٦م، ١٧٢٦م، ١٧٥١م، ولعل آخر حادثة وقعت عام ١٧٨٦م ١٢٠٠هـ يقول الجبرتي نودي على طائفة النصارى بألا يركبوا الدواب، ولا يستخدموا المسلمين ولا يشتروا الجواري والعبيد، ومن كان عنده شيء من ذلك باعه أو أعتقه، وأن يلزموا زيهم الأصلي من شد الزنّار والزنوط.(عجائب الآثار ١٧٦/٣)»[4]

وفي الأخير شواهده يشير إلى أنّ:« عند هذه الحادثة اختفت هذه الكلمة(الزنّار) في مراجعنا ولم يجد لها ذكرا لا في الشعر ولا في النثر»[5]، وهذا ما يثبت لنا بدوره أنّ كلمة زنّار لم تعد تستعمل في العصر الحديث وبعده وتوقفت في سنة 1786م أو 1200 هـ .

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 320.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 321.

[4]- المرجع السابق، الصفحة السابقة..

[5]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

وفي الأخير نستنتج أن كل هذه الشواهد أثبتت أنّ الزنّار كان يستعمل بمعنى اللباس وهو لباس خاص بالمسيحيين لتميّزهم عن المسلمين، كما استعمله أيضا المسلمون لتميّزهم عن أهل الذمة.

وما يمكننا قوله في هذا العنصر - الزنّار في التاريخ العربي- أنه أحاط بخاصية مهمة يتطلبها المعجم التاريخي وهي دراسة اللفظ تاريخيا من أوّل ظهور له(ما ورد في كتاب الخراج لأبي يوسف (ت 112 هـ) حتى انقطاعه عام 1200 هـ،وبالإضافة إلى ذلك فإنّه طبّق نقطة مهمة تكلم عليها في معجمه وهو أنه لم يِأرّخ لمدلول الزنّار من خلال النصوص فحسب بل تطلب الأمر إلى تقديمه تفسيرات وكتابات تاريخية عنهاوهذا ما يلقي على الزنّار ضوءا عظيما على تاريخها اللغوي من خلال هذهالنصوص،ولكن من ناحية أخرى كان من المفروض ألاّ يفصل بين هذه الشواهد من النصوص التاريخية(الزنّار في التاريخ العربي) وبين الشواهد الشعرية في مختلف العصور، ويدمج كل هذه الشواهد مع بعض حتى تكون دراسة تاريخية تامة.

5- ترجمان*

أورد هذه المفردة ضمن العناصر الآتية:

- تأصيل كلمة ترجمان (ت ر ج م)
- الترجمان في الشعر العربي في العصر الجاهلي.
- في العصر العباسي.
- في العصر الأندلسي.
- في العصر المملوكي.
- في العصر الحديث.
- الترجمان في التاريخ.

أشار في عنوان هذه الكلمة أنها تكون على حالتين: بفتح التاء وضمها، أي أنها قد تكون تَرجمان أو تُرجمان ،ثم وضح لنا في جدول بعض المشتقات للترجمان، وهذه المشتقات هي: ترجم، الترجمان، الترجمة مع ذكر المعاني المتعددة لكل منها، ونحن سنذكر هذه الكلمات في جدول كما عرضها:

* محمد حسن عبد العزيز، ترجمان،ص322

ترجم	الترجمان	الترجمة
- ترجم عن اللسان فسَّر كلامه بلسان آخر. - ترجم لفلان: ذكر ترجمته أيّ عرّف به، وذكر سيرته. - ترجم الكتاب: نقله من لغة إلى أخرى - ترجم الكتاب: قسمه إلى أبواب وفصول (دوزي). - جعل له عنوانا (دوزي)	- المفسر للسان - الناقل للكلام من لغة أخرى - ج: تراجم وتراجمة. - دليل السائح (دوزي)	- التفسير - النقل من لغة إلى أخرى - عنوان الفصل أو الباب في الكتاب - سطور تكتب في أعلى الرسالة يذكر فيها اسم كاتب الرسالة واسم من كتب إليه (دوزي عن المقري) - لقب يشير إلى صاحب المكان يحدد به علاقته بالكتاب مثل المخل، الفقير إلى عطفك.[1]

نلاحظ في هذا الجدول أنه قدم شرح موجز - لهذه الكلمات الثلاثة- من جوانبها الدلالية دون التأريخ لها من النصوص،أما قولنا عن هدفه في إيراد الكلمتين: ترجم والترجمة –اللتيّن ليس من موضوع دراستنا- هو تبيين الفرق بين هذه الكلمات الثلاثة وتوضيح العلاقة التي تربط " ترجم والترجمة" مع كلمة الترجمان، بحيث نرى أنّ المعاني المختلفة التي أوردها لكل من ترجم والترجمة لها

[1]- محمد حسن عبد العزيز، الجدول ، ص322

معاني مشتركة مع معاني الترجمان، وربما هذا السبب هو الذي جعله يذكر هتيّن الكلمتيّن، أما وضعه لهذا الجدول فنلاحظ أنه لم يضعه لكل النماذج بل وضعه للترجمان فقط.

تأصيل كلمة ترجمان (ت ر ج م):بيّن في هذا العنصر أنّ أصل هذه المادة هي ترجم أي هي من الرباعي الصحيح،وفي هذا العنصر يقول:« في العبرية Targm تَرْجيمْ: تَرْجَمَ من لغة إلى أخرى، فسر،وفي الآرامية targem تَرْجِمْ: تَرجَمَ، فسَّرَ، وَعَظَ، ومنه targam تَرْجمَان.وفي الحبشية targuamaتَرْجُومَ، وفي الأكّديّةtargumanu ترجمان »[1].

فهذا القول بيّن لنا أنّ كلمة ترجمان ليست عربية أصيلة لأنه ذكر لنا عدة لغات(من العائلة السامية) استعملت هذه الكلمة، إلا أنه لم يحدد بالضبط الجذر الحقيقي الذي تعود إليه.

ومن ناحية أخرى فإنّه بدأ في هذا النموذج بذكر بعض المشتقات ثم ذكر تأصيل كلمة ترجمان (جذرها)، في حين إنّ المنهج يقتضي أن ينطلق في هذا المدخل من الجذر إلى مشتقاته إلا أنّه يعترف في منهج معجمه أنّ:« معالجة المداخل بهذه الطريقة يتطلب إحاطة أوسع بكل الاستعمالات المعروفة في المصادر ولا يمكن لفرد واحد القيام به ولا تتوافر لديه متطلباته»[2]،ولكن بالرغم من أنّه لم يحط بهذه الدراسة إحاطة تامة إلا أنه حاول أن يبيّن بعض المشتقات لترجمان (ترجم والترجمة) ويعطي لمحة عن الأصل الذي تندرج منه هذه الكلمة وهذه خاصية مهمة يستدعيها المعجم التاريخي للغة العربية.

الترجمان في الشعر العربي:فبعد كل ما ذكره سابقا يذهب إلى تقديم الشواهد من الشعر العربي لاستعمال كلمة ترجمان، وهذه الشواهد قام بتصنيفها حسب العصر الذي تنتمي إليه، سنورد هذه العصور كما وردها:

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص322

[2]- المرجع السابق، ص 284.

«**في العصر الجاهلي:** وردت كلمة ترجمان في الشعر العربي مفردةً وجمعًا وأقدم شاعر استعمل هذه الكلمة هو الأسود بن يعفر (نحو ٢٢ق.هـ - ٦٠٠م)، فقد وردت في شعره جمعا نادرا (تراجيم) في قوله:

حتى تناولها صهباءُ صافيةً يرشو التِّجارَ عليها والتراجيم.

(قال العلامة عبد السلام هارون: يريد الترجمة:لأن باعة الخمر عجم يحتاجون إلى من يفهِم الناس كلامهم) (المفضليات ص ٤١٨)»[1]

ففي هذا الشاهد لم يحدد لنا في التاريخ الذي أورده لهذا الشاعر هل هو تاريخ الوفاة أو الميلاد ومن خلال هذا البيت وشرحه نفهم بأنّ معنى الترجمان هو المفسّر للسان.

في العصر العباسي: ذكر أربعة أبيات نذكر اثنين منها:

« قال عوف بن مُحَلَّم الخزاعي:

إنّ الثمانين وبلغتَها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان (الأمالي، للقالي ١/٥٠)»[2]

فهذا البيت دلّ على أنّ الترجمان هو المفسّر للسان،إلا أنه لم يحدد التاريخ الذي استعمل فيه هذا المعنى (وفاة صاحبه أو ميلاده) كما فعل في الأبيات السابقة.

« وقال أبو العلاء المعري (ت٤٤٩هـ):

حبست كتاب العين في كل وِجهةٍ فخذ حَذَرًا من ترجمان المفجَّع (اللزوميات٢/١٠٤٣)»[3]

في العصر الأندلسي: أورد فيه شاهد واحد وهو:

« قال ابن حمديس (٥٢٧هـ -١١٣٣م):

مَنْ بِشْرُه تَرجمَ عن جوده والجودُ في البشر له ترجمان.

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 223.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

(ديوانه ص ٥٠٧)»[1]

في العصر المملوكي: ذكر شاهد واحد وهو:

« وقال ابن النبيه يمدح الملك الأشرف موسى (ت ٦١٩هـ- ١٢٢٢م)

لا تسل العاشق عن حاله فدمعه عن قلبه ترجمان»[2]

في العصر الحديث: أورد بيتيّن هما:

« وقال إسماعيل صبري يهنئ الخديو عباس الثاني (٩٢٣م):

لا تسأل المالكَ عن مُلكه فعدله عن ملكه ترجمان (ديوانه ص ٦٨)»[3]

فشاعر هذا البيت لم يحدد تاريخه هل هو ميلاده أو وفا ته وهذا ما جعل هذا التاريخ غامضا.

« وقال علي الجارم (ت ١٩٤٩م):

وما الشعر إلا ترجمانٌ مُخَلَّدٌ يقصُّ على الأجيال مَجْدًا مخلدا (ديوانه ص ٧٨)»[4]

فمن ناحية المعنى نلاحظ أنّ كل هذه الشواهد الشعرية في مختلف العصور أثبتت استعمال الترجمان في الشعر العربي بمعنى المُفسّر للسان أو هو الناقل للكلام من لغة إلى أخرى.

أما العصور التي أوردها" العصر الأندلسي والعصر المملوكي"هي عصور غير معتمدة في الشعر العربي، لأن العصور الأدبية المتّفق عليها هي:العصر الجاهلي،الإسلامي،الأموي العباسي،الحديث فكان من المفروض أن يذكر العصر الأندلسي والمملوكي ويدرج شواهدها ضمن العصور السابقة المتفق عليها،وهذا أيضا ماعارض منهج معجمه الذي اعترف فيه أنّ:« النصوص

[1]-محمد حسن عبد العزيز، ص 223.

[2]- المرجع السابق، ص324.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[4]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

المستشهد بها تنتمي إلى عصور اللغة العربية الخمسة المتفقاعتمادها من لجنة المعجم»[1] وهذه العصور الخمسة هي التي أشرنا إليها سابقا.

الترجمان في التاريخ: أشار في البداية إلى تاريخ التراجمة منذ العصر الإسلامي وعلاقاتهم المختلفة مع غيرهم وبذلك يقول بأن:«التراجمة كان لهم شأن في العلاقات التجارية والسياسية بين الدول الإسلامية والشعوب الأجنبية وبدأ نشاط هؤلاء يظهر مع الفتوحات الإسلامية، كما قد كان للعرب قبل الإسلام علاقات قوية بالفرس والروم وكان للتراجمة دور فيها، وكان للعباديين- وهم قبائل عربية تنصرت- دور كبير في البلاط الفارسي، وكانوا يقومون بالترجمة والكتابة.

(الأغاني، للأصفهاني ١٠٢/٢)»[2]

فهذا النص لم يؤرخ فيه استعمال " الترجمان" وإنما حاول أن يُقدم تفسيرات وكتابات تاريخية عن الترجمان وهذا ما يلقي ضوءا عظيما على تاريخها اللغوي وفقا لما جاء في منهجه.

وبعد ذلك يذهب إلى تقديم الشواهد من النصوص- التي لا حصر لها- إلاّ أنّنا نورد البعض منها:

«يعقد البخاري بابا بعنوان(باب ترجمة الحكام، وهل يجوز ترجمان واحد) وفيه: قال أبو حمزة: كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس وأنها، بقوله: وقال بعض الناس:لا بد للحاكم من مترجمين.

(صحيح البخاري ٩٤/٩) »[3]

فهذاالشاهد لم يحدد فيه تاريخ معين وهذا ما يجعلنا لا نعرف التاريخ الحقيقي لاستعمال كلمة الترجمان.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 284.
[2]- ينظر، المرجع السابق، ص 324.
[3]- المرجع السابق، ص 325.

« أخبرني شبل الترجمان قال:حين نزل الرشيد على مرَقْلة وفتحها،فرأيت ببابها حجرًا منصوبا مكتوبا عليه باليونانية، فجعلت أترجمه والرشيد ينظر. (مروج الذهب للمسعودي ٥٨/٢) »[1]

فهذا الشاهد أيضا لم يضع له تاريخ وبالتالي يصبح غير تاريخي.

«وكان للتراجمة دور كبير في الرحلات التي قام بها المسلمون في العصر العباسي،من أشهرها: رحلة بن فضلان (ت ٣١٢هـ - ٩٢٤ م) التي قام بها إلى بلاد الترك والخزز والروس والصقلية عام ٣٠٩هـ - ٩٢١م، وكان يصطحب معه في كل بلد يزوره مترجما أو يجد عند ملوكها من يترجم له، وقال هذا الرجل يوما على لسان الترجمان: قل لهذا العربي ألربن امرأة؟" فقلت للترجمان: سل بعضهم ما حجتهم من هذا"."وقد حدثني ترجمان الملك أن سنديّا سقط إلى هذا البلد"

(رحلة بن فضلان ص ٧٥٠٣٩) »[2]

كما يقول بأنّ:« كلمة الترجمة كان يُراد بها النقل، وابن النديم يعقد بابا واسعا لأسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي، وكان بعض المترجمين يلقب بالترجمان أو الناقل، ومن ذلك قال فثيوه الناقل، ويوسف الناقل وخالد الترجمان. (الفهرست للنديم ص ١٨٣، ٣٨١) »[3]

لم يعط لهذا الشاهد تاريخه.

« وعند نزول الفرنساوية إلى مصر أصبح للتراجمة دور كبير في الاتصالات التي كانت تقع بين المصريين والفرنسيين، وكان مع الحملة عدد كبير من التراجمة الفرنسيين يقول الجبرتي: وكان منتور هذا ترجمان ساري عسكر،وكان لبيبًا مستبحرًا، ويعرف اللغات التركية والعربية والرومية والطلياني والفرنساوي (عجائب الآثار ١١٥/٥)»[4]

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 326.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق،ص 327.

[4]- المرجع السابق، ص 229/228.

فهذا الشاهد لم يحدد فيه أيضا تاريخا معينا.

وفي الأخير نستنتج أن معظم الشواهد لم يحدد لها تاريخها الخاص واكتفى بذكر المصدر فقط، وهذا ما يتعارض مع المعجم التاريخي الذي يستلزم التحديد الدقيق لتاريخ الألفاظ، ومن ناحية أخرى فإنه فصل في هذا النموذج بين الشواهد بحيث أورد في البداية الترجمان في الشعر العربي ثم ذكر الترجمان في التاريخ، ثم فكان من المفروض أن يتتبع كلمة ترجمان ومعانيها من أوّل استعمال لها حتى انقطاعها مع الاستشهاد عليها في مختلف المصادر سواء كانت من الشعر أو التاريخ أو غيرها، وهذه هي الدراسة التاريخية للألفاظ (لا الفصل بين الشواهد).

6- وزيروووزارة*

أدرج هاتيّن المفردتين ضمن العناصر الآتية:

الوزير والوزارة في الشعر العربي

في العصر الجاهلي.

في العصر الإسلامي.

في العصر العباسي.

في العصر الحديث.

الوزير والوزارة في التاريخ العربي.

في العصر الجاهلي.

النظام الملكي عند العرب.

في العصر الإسلامي.

في العصر العباسي.

الوزارة في عهد بني بويه.

الوزارة في الدولة الطولونية والإخشيدية.

الوزارة في عهد الفاطميين.

الوزارة في عهد الأمويين بالأندلس.

الوزارة في عصر المماليك.

الوزارة في العصر العثماني.

*محمد حسن عبد العزيز، وزير ووزارة،ص330.

الوزارة في العصر الحديث.

صدر الحديث في البداية بذكر بعض مشتقات كلمة " وزير" وشرحها شرحا موجزا،وهذا ما جاء موافقا لمنهجه الذي يعترف فيه أنه:«صدر الحديث في النماذج بشرح موجز لجوانبها الشكلية واللغوية وتطورها اللغوي»[1] ،إلاّ أنه لم يشر أنه سيعرض اشتقاقاتها،وهذه الاشتقاقات هي:«

- الوَزَر: الجبل المنيع، والملجأ والمعتصم، لأن الخليفة يعتمد عليه ويلجأ إليه الأمور.
- الوِزْر: الحِمْل الثقيل، لأنه يزر عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير المملكة،أي يحمل عنه.
- الموازرة: أي المعاونة، من وازره على الأمر:عاونه وقوَّاه، وصار له وزيرًا.
- والوزير:خاصة الملك الذي يعينه بالرأي ويعاونه في تدبير الأمور.
- والوزير:رجل الدولة الذي يختاره رئيس الحكومة للمشاركة في إدارة شؤون البلاد مختصا بجانب منها»[2].

فتبيّين اشتقاقات الكلمة صفة مهمة يتطلبها المعجم التاريخي في حين أنه لم يبيّن أصل هذه الكلمة " وزير" (جذرها) ومعرفة إذ كانت تنحدر من أصل عربي أو معرّب أو دخيل،إلا أنه يشير في منهجه أنّ الانطلاق من الجذر إلى مشتقاته عمل صعب لا يمكن لفرد أن يقوم به ولا تتوافر لديه متطلباته.

وبعد عرض هذه الاشتقاقات قدم لنا شرحًا موجزًا "للوزارة" من جوانبها اللغوية: الدلالية والشكلية وهي:

« الوزارة بكسر الواو وفتحها:

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 285.

[2]- المرجع السابق، ص330.

- عمل الوزير.
- جماعة من رجال الحكم»[1]

ففي هذه الكلمة نلاحظ أنّه لم يقدّم اشتقاقاتها مثل ما فعل عند الوزير، وهذا ربما لكون الوزارة لها نفس المشتقات مع الوزير، فاكتفى بعرض معانيها.

ومن ناحية أخرى فإنه عالج الكلمتين (وزير،وزارة) في وقت واحد ولم يعالج كل كلمة لوحدها مع شواهدها الخاصة، وهذا ربما لما رأى من العلاقة المعنوية التي تربطهما وسنبيّن ذلك لاحقا:

الوزير والوزارة في الشعر العربي:

حيث قدم الشواهد المختلفة (للوزير والوزارة) في مختلف العصور كالآتي:

في العصر الجاهلي: يقول أنه:« لم يجد شواهد فيما رجع إليه من دواوين الشعر الجاهلي»[2]،وهذا ما بيّن لنا أن الوزير والوزارة لم يستعملهما الشعراء الجاهليون،ولكن كان لابدّ ألاّ يذكر هذا العصر لأن ليس فيه شواهد.

في العصر الإسلامي: أورد بعض الشواهد الشعرية منها:

« فهذا العبّاس بن مرداس(ت١٨هـ) يقول في غزوة حنين أنّه وزير للنبي وتابع له:

فإن تبْتغي الكفّارَ غير ملومةٍ فإني وزيرٌ للنبيِّ وتابعُ (ديوانه ص ١٠٧)

وجبريل وزير النبي، يقول حسّان بن ثابت يرثي حمزة (ت ٥٤هـ):

غداةَ جبريلُ وزيرًا له يغمّ وزيرُ الفارس الحاملِ (ديوانه ص ٢٢١)»[3]

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص330.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 331.2/330

« بل إنّ النبي نفسه وزير،يقول كعب بن مالك يرد على ضرار بن الخطاب في يوم الخندق (ت ٥٠هـ):

وكان لنا النبيُّ وزير صدق به تعلو البريةَ أجمعينا. (ديوانه ص ٢٧٩»[1].

فكل هذه الشواهد تثبت استعمال كلمة الوزير بالمعنى الأول الذي أورده وهو: خاصة الملك الذي يعينه بالرأي ويعاونه في تدبير الأمور.

وبعدها يشير إلى:«قلة ما توافر لديه من أمثلة لاستعمال كلمة " وزير" في الشعر في عصر بني أمية فوجد استعمالا طريفًا للعَرْجِي عبد الله بن عمر الأموي (ت١٢ هـ) يقول:

وزيرٌ لها إبليسُ في كل حاجةٍ لها عندما تَهْوِي له يتمثَّلُ (ديوانه ص ٣٠٣)»[2]

فالوزير هنا خاص بإبليس مثال الشّر الذي تستخدمه هذه المرأة لقضاء حوائجها وعلى الرغم من أنه أورد هذا البيت من العصر الأموي فمن المفروض أن يورد هذا البيت في عصر لوحده (العصر الأموي) ولا يذكره مع العصر الإسلامي.

وفي الأخير نستنتج أن كل الشواهد الواردة في العصر الإسلامي أثبتت استعمال الوزير ولا وجود للوزارة في هذه الشواهد وهذا ما يبيّن لنا أنها لم تكن مستعملة.

في العصر العباسي: حيث يقول بأن:« الوزارة كان لها شأن بعيد التأثير في بداية بني العباس في حين اتسع استعمال كلمة الوزير اتساعًا عظيما، وقد بلغت الوزارة أبهى عصورها وأبلغ آثارها فيما أسماه ابن طباطبا (الدولة البرمكية) »[3].

وبعدها يورد لنا العديد من الشواهد الشعرية بلغ عددها ثمانية وعشرين بيتًا شعريًا نذكر البعض منها:

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 331.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

«قال سلْم الخاسر (ت١٨٦هـ):

إذا ما البرمكي غدا بن عشر فَهِّمَتُه وزير أو أمير»[1]

لم يذكر مصدر هذا الشاهد و الصفحة و هذا ما يجعل هذا البيت غير موثوق فيه.

«وقال منصور النمري(ت ١٩٠ هـ) يمدح يحي بن خالد البرمكي:

ولو عُلِمتْ فوق الوزارةِ رتبةٌ تُنال لمجدِ في الحياة لنالها.

(بواقيت المواقيت، للثعالبي، ص ٤٢)»[2]

فالوزارة هنا بمعنى عمل الوزير.

كما يقول بأن:«الشعراء مدحوا الوزراء وطمعوا في نوالهم وأسبغوا عليهم آيات المجد والفخر من ذلك ما قاله بشار يمدح عقبة بن سَلْم (ت١٦٧هـ) :

وزيرُ أمير المؤمنين و سيفُه إذا نفخ الشيطان في أنف حاسد (ديوانه٨٢/٣)»[3]

ففي هذا الشاهد لم يراع الترتيب التاريخي لأنّه ذكر بيت منصور النمري (ت 190هـ) ثم ذكر بعده بيت بشار (ت 167 هـ)، فهذا البيت يسبق زمنيا البيت السابق.

« قال أبو تمام (ت٢٣١هـ) يمدح الوزير محمد بن عبد الملك الزيَّات(ت٢٣٣ هـ):

وزيرُ حق ووال شرطة ورَخى ديوانِ ملكٍ وشيعيٌّ ومحتسب (ديوانه ٢٥٢/١)

كما أكثر الشعراء في مدح الوزراء، أكثروا في هجائهم من ذلك:

قال أحد الشعراء في هجاء أحمد بن عمار بن شاذي (توّزر٢٢١هـ) وقد كان وزيرا للمعتصم (خ ٢١٨-٢٢٧هـ):

سبحان ربي الخالق البارئ صرتَ وزيرًا يابن عمّارِ

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 332.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

وكنت طحانًا على بغلةٍ بغير دكانٍ ولا دارِ (الفخري،لابن طباطبا ص ٢١٣)»[1]

ففي الشاهد الأخير لم يذكر صاحبه وهذا ما يجعل هذا الشاهد مشكوكا فيه.

كما يشير أنّ:« في عهد المقتدر(خ ٢٩٥- ٣٢٠هـ) بلغ اضطراب الحكم غاية عظيمة وتولى الوزارة وزراء غير أكفاء،وصل أغلبهم إليها بالمال ولقد تولى الوزارة في عهده أربعة عشر وزيرًا،منهم من وَزَرَ ليوم أو يومين، ومنهم من تولى الوزارة غير مرة وفي ذلك يقول:

« قال مهيار الديلمي (ت ٤٢٨هـ)

أضحى وزيرُ الدين ذا مَغْرِمٍ وزارةُ الدنيا وتعذيبُ (ديوانه ١/١١٨)»[2]

وبعده يقول:« ولم يختلف حديث الشعراء عن الوزراء مدحا أو قدحا في عهد المماليك.

قال صبط بن التعاويذي (ت ٥٨٣هـ):

وزير أتى الدنيا بعين تجَرُّبٍ يرى أن كسب الحمدِ أجْدَى وأعود (ديوانه ١١٨هـ)»[3]

وفي آخر شواهده يشير بأنه:«لم يجد من الدواوين الشعرية في العصر العثماني ما يخرج عمّا مثّل به من شواهد في العصور السابقة»[4]،ولكن إشارته إلى العصر العثماني،إلا أنّ هذا لا يعتبر عصرا من العصور الأدبية المتفق عليها.

وفي الأخير نستنتج أنّ معظم هذه الشواهد وردت فيها كلمة الوزير في حين أنّ الشواهد الخاصة بالوزارة قدّم فيها بيتين فقط، أمّا معانيهما فنقول بأنّ الوزير يقصد به الملك الذي يُعينه بالرأي ويعاونه في تدبير أمور الناس، أمّا الوزارة فيقصد بها من هذه الشواهد عمل الوزير.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 333.

[2]- المرجع السابق، ص 334/333.

[3]- المرجع السابق، ص 334.

[4]- المرجع السابق، ص 335.

في العصر الحديث: يقول في هذا العصر أنّ:«كلمة وزير ووزارة تتردد كثيرا بين الشعراء في المدح والهجاء والمناسبات السياسية والاجتماعية، ومن ذلك:

قال محمود قابادو (ت ١٨٧١م):

حتى ترى أحفادهم ما منهُمُ إلا بدستِ وزارة دستور»[1]

لم يذكر مصدر الشاعر الذي أخذ منه هذا البيت وهذا ما يجعله غير موثوق.

« قال محمود سامي البارودي (ت ١٩٠٤م):

فكم أمير بحسن الحظ مبتهجٌ وكم وزيرٍ بكأس البشرِ مخمور. (ديوانه ص ٣٣٤/١)»[2]

« قال معروف الرصافي (ت ١٩٤٥م):

وماذا عسى يُجْدِى سقوط وزارة إذا لم تقم أخرى على العدل والصدق. (ديوانه ص ٣٩٨)»[3]

فهذه الشواهد دلّت على المعنى الحديث الذي أصبح يطلق على الوزير والوزارة - أيّ تغيّر معناه القديم الذي ذكرناه في العصور السابقة – حيث أصبح الوزير هو رجل الدولة الذي يختاره رئيس الحكومة للمشاركة في إدارة شؤون البلاد مختصا بجانب منها،أما الوزارة هي جماعة من رجال الحكم.

وبالإضافة إلى ذلك فإنّ تصنيفه الدقيق للعصور الأدبية وإيراد الشواهد التي تنتمي إلى كل عصر هو الذي جعلنا نتعرّف على تغيّر معنى الوزير والوزارة من المعنى القديم إلى الحديث،ولكن من ناحية التأريخ لهذه الشواهد نلاحظ أنه في العصر الحديث اعتمد على التاريخ الميلادي ولم يستمر في إيراد التاريخ الهجري لوفاة الشعراء، وهذا بدوره ما يفقد الشواهد تدرّجها التاريخي للتاريخ الهجري.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 335.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

الوزير والوزارة في التاريخ العربي: لقد تناول مفهوم الوزير والوزارة في التاريخ العربي، وذلك بتقديم العديد من الشواهد من النصوص المختلفة، وقام بتصنيف هذه الشواهد حسب العصور سنوردها كما ذكرها:

في العصر الجاهلي: تحدث في هذا العصر عن النظام الملكي عند العرب ويقول في ذلك أنّ: «الغساسنة والمناذرة عرفا نوعا من النظام الملكي متأثرين بنظام الفرس والروم، ويظهر أنّ ملوك الحيرة كانوا يستوزرون الوزراء يستشيرونهم في الأمور، بل إن بعض الدارسين يرى أن كلمة (وزير) كلمة فارسية قديمة vichir بمعنى صاحب الرأي الحاسم.

(وانظر معجم الدولة العثمانية، حسين مجيب المصري)»[1]

فهذا النص بيّن لنا فكرة مهمة وهي أن كلمة" وزير" ليست عربية أصيلة بل هي فارسية، ولكنه لم يفصّل فيها كثيرا وأشار إليها إشارة مختصرة، إلاّ أنّه كان من المفروض أنّ يتحدث عن هذه الفكرة في بداية النموذج قبل حديثه عن اشتقاقات الوزير.

وبعد ذلك تحدث عن:« وظيفة الرّدافة ويقول إنّ أرداف الملوك بمنزلة الوزراء في الإسلام والرّدافة كالوزراء ثم قدم بعض الشواهد الشعرية لاستعمال كلمة الردّافة في العصر الجاهلي إلا أنّ هذه الشواهد لا تهمنا، وأنّ الشواهد التي في صلب موضوعنا هي المتعلقة بالوزير والوزارة في العصر الجاهلي إلا أنه لم يورد شواهد كافية في ذلك»[2]

في العصر الإسلامي:أورد عدة نصوص من الكتب والقرآن والأحاديث النبوية نورد الأهم فيها أولها:

« كان النبي - صلى الله عليه و سلم- يشاور أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة ويخص مع ذلك أبا بكر بخصوصيات أخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 336.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

وقيصر والنجاشي يسمون أبا بكر وزيره، ولم يكن لفظ (الوزير) يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسذاجة الإسلام، وكذا عمر مع أبي بكر، وعلي وعثمان مع عمر.

(مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٧)

وفي القرآن الكريم: ﴿وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونَ أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي.﴾ [طه:٢٩-٣٢] »[1].

« روي عن النبي - صلى الله عليه و سلم- أحاديث يذكر فيها لفظ (الوزير): إذا أراد الله-عزّ وجلّ- بملك خيرا قَبَّض له وزيرا صالحا،إن نسي ذكَّره، وإن نوى خيرا أعانه، وإن أراد شرا كف.

(سنن النسائي ١٥٩/٧)»[2]

« بعد وفاة النبي –صلى الله عليه وسلم- اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة، وتكلموا في الإمارة، وتكلم أبو بكر فقال: ... نحن الأمراء وأنتم الوزراء،فقال حبابُ بن المنذر:لا واللهِ لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير، فقال أبو بكر:لا، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء.

(صحيح البخاري، باب فضائل أصحاب النبي ٨/٥)»[3]

«يقول الجهشياري:إنّ عبد الحميد كان من أشأم كاتب على وجه الأرض،لأنه لما تقلّد وزارة مروان لم يقتصر شؤمه على إتلافه فقط حتى أزال دولة بني مروان جملة»[4].

وفي آخر شواهده يقول:«إنّ الوزارة لم تتمهّد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس، فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد، ولا مقررة القوانين، فكلما ملك بنو العباس تقرّرت قوانين الوزارة وسمي الوزير وزيرا وكان قبل ذلك يسمى كاتبا أو مشيرا.

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 337.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 338/337.

[4]- المرجع السابق،ص 338.

(الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا ص ١٣٦)»[1]

وفي الأخير نستنتج أنّ كل الشواهد التي أوردها في العصر الإسلامي لم يأتِ لاستعمالها وهذا ما يتعارض أيضا مع المعجم التاريخي الذي يركز أساس على التأريخ الزمني للألفاظ، أمّا معنى الوزير والوزارة من خلال هذه الشواهد فنلاحظ أنها تنوعت من شاهد إلى آخر إلا أنها لم تعرف المعنى الحديث.

في العصر العباسي: ذكر عدة نصوص منها:

« ذكر القضاعي وغيره أنّ أول لقب بالوزارة في الإسلام أبو سلمة حفص بن سليمان الخلاّل وزيد أبي العباس السفَّاح أول خلفاء بني العباس، ولم يكن ذلك قبله، فجرى الأمر على ذلك في اتخاذ الخلفاء الوزراء إلى انقراض الخلافة ببغداد بقتل التتار المستعصم في سنة ست وخمسين وستمائة (صبح الأعشى للقلقشندي ٢٧٣/٣)»[2]

« وفي عهد المأمون بلغت الوزارة مبلغا بعيدا في العظمة، وكان وزيره الفضل بن سهل يؤمّر مع الوزارة، وهو أول وزير أمّر، وأول وزير اجتمع له اللقب والتأمير ولقّبه المأمون(ذا الرئاستين) ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة التدبير.

(كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري، ص ٣٠٥، ٣٠٦)»[3]

« ثم لما جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطة... انقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة التنفيذ، وهي حال ما يكون السلطان قائما بنفسه وإلى وزارة تفويض وهي حال ما يكون الوزير مستبدا عليه، واستمر الاستبداد، وصار الأمر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة، ولم يكن لأولئك المتغلبين

[1]- ينظر، محمد حسن عبد العزيز،ص 338.

[2]- المرجع السابق، ص 339.

[3]- المرجع السابق، ص 340.

أن ينتحلوا ألقاب الخلافة، فتسموا بالإمارة والسلطان... وتركز اسم الوزارة إلى من يتولّاها للخليفة في خاصته... ولم يزل شأن عندهم إلى آخر دولتهم.

(مقدمة ابن خلدون ص ٦٧٣، وانظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ٢٦)»[1]

فهذه النصوص بيّنت حال الوزارة والوزير في العصر العباسي إلا أنها لم يضعلها تاريخ معين (وفاة صاحبه أو ميلاده) وهذا ما يفقد الترتيب التاريخي لهذه الشواهد.

الوزارة في عهد بني بويه: أورد لنا بعض النصوص أهمها:

«يقول المسعودي: وغلب على الأمر ابن بويه الديلمي، والمطيع في يده لا أمر له ولا نهي ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر، وقد كان جعفر بن يحيى بن شيرزاد يدبر الأمر بحضرة الديلمي قيّما بأمر الوزارة برسم الكتابة ولم يخاطب بالوزارة.(مروج الذهب للمسعودي ٢٥٩/٥) ويقول ابن طباطبا: استولت دولة بني بويه على الخلافة (٣٣٤هـ) فعزلت الخلفاء دولتهم واستوزرت الوزراء وصرفتهم،وانقادت لأحكامهم أمور بلاد العجم وأمور العراق وأطاعتهم رجال الدولة باتفاق»[2].

فدولة بني بويه استولت على الخلافة سنة 334هـ، وهذا التاريخ يقابله العصر العباسي لذا كان من اللازم أن يدرج هذه الشواهد مع شواهد العصر العباسي ولا يذكر هذا العنصر(عهد بني بويه) لأنه لا يمثل عصرا أدبيا.

الوزارة في الدولة الطولونية والإخشيدية: من أهم ما ذكره في هذا العصر هو« استقلال أحمد بن طولون بحكم مصر في إطار الخلافة العباسية وفي عهد خمارويه " بن أحمد بن طولون علا شأن علي بن أحمد المادرائي حتى صار النظر إليه في جميع أمور مصر وربما اتخذ لقب الوزير، وعندما

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص340.

[2]- المرجع السابق، ص 341.

تقلّد الإخشيد أمور مصر استوزر أبا محمد المادرائي ٣٢٨هـ وجعل له التدبير في مصر والشام والرملة واستعان به أيضا كافور ٣٣٦هـ واستخدمه فترة.

(الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي،محمد حمدي المناوي ص ٢٣-٢٥)»[1]

فأبو محمد المادرائي استوزر مصر سنة 328 هـ وهذا ما يرافق العصر العباسي،لذا كان في رأينا أن لا يذكر هذا العنصر ويورد شواهده مع العصر العباسي، لأن المعجم التاريخي لا يدرس دولة بعينها أو مكان بعينه وإنما يهتم بزمان ورود اللفظ فكان لابدّ من أنّ يذكر هذا العنصر ضمن العصر العباسي.

الوزارة في عهد الفاطميين: أورد نصا واحدا فقط وهو:« يقول القلقشندي في موضوع الوزارة عند الفاطميين: وهي أرفع وظائفهم وأعلاها رتبة والوزارة عندهم كانت تارة تكون في أرباب السيوف وتارة في أرباب الأقلام... وأول من خوطب بالوزارة منهم يعقوب بن كِلس وزير العزيز،ولقبه بالوزير الأجل ٣٦٧هـ وهو من أرباب الأقلام وعلي بن فلاح وكان يدعى وزير الوزراء، وأول وزائرهم من عظماء أرباب السيوف بدر الدين الجمالي وزير المتنصر وآخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب. (صبح الأعشى ٤٧٨/٣) »[2]

فهذا وإن دلّ على استعمال الوزارة والوزير في عهد الفاطميين إلا أن هذا العهد لا يعتبر عصرا،إذ هو ينتمي إلى العصر العباسي،(تلقيب ابن كلس بالوزير الأجل 367 هـ)، فمن المفروض أن يدرج هذا النص أثناء حديثه عن العصر العباسي.

الوزارة في عهد الأمويين بالأندلس: أورد عدة شواهد منها:

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 342.

[2]- ينظر، المرجع السابق، الصفحة السابقة.

« يقول ابن خلدون: وأما دولة بني أمية بالأندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ثم قسّموا خطته أصنافا وأفردوا لكل صنف وزيرا،إلا أنّ الوزير خصّوه باسم الحاجب، فأكثر هؤلاء الوزراء كانوا يسمون الحاجب. (مقدمة ابن خلدون ص ٦٤٠) »[1]

«وكان الناصر لدين الله (خ٣٠٠- ٣٥٠-هـ) قد استحجب عن الملك بن شهيد، وأهدى إليه ابن شهيد هديته المشهورة المتعددة الأصناف... وزاد الناصر وزيره هذا خطوة واختصاص وأسمى منزلته على سائر الوزراء جميعا... وسماه ذا الوزارتين وهو أوّل من تسمى بذلك الأندلس .

(نفخ الطيب للمقري١/ ٣٥٦) »[2]

فهذا العنصر - الوزارة في عهد الأمويين بالأندلس- يستلزم أن يذكره سابقا في العصر العباسي،وهذا ما يوافق تاريخ ناصر دين الله (300-350 هـ).

الوزارة في عصر المماليك: أورد عدة نصوص تنتمي إلى هذا العصر منها:

« ثم جاءت دولة الترك أخيرا بمصر، فرأوا أن الوزارة قد ابتذلت بترفّع أولئك عنها ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور، ونظره مع متعقَّب بنظر الأمير، وصارت الوزارة مرؤوسة ناقصة... وصار صاحب النظر والأحكام في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد، واختصّ اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية. (المقدمة لابن خلدون ٦٤٣/٢) »[3]

«وفي عهد السلطان محمد بن قلاوون ألغي منصب الوزارة، ووزع مهماتها إلى ناظر المال وشادَ الدواوين، وناظر الخاص، وكاتب سر...ثم ما لبثت الوزارة أن عادت إلى ما كانت عليه من الاقتصار على التحدث في المال... (صبح الأعشى، للقلقشندي، ٢٩/٤) »[4]

---

[1]- ينظر،محمد حسن عبد العزيز، ص 343.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 344.

[4]- المرجع السابق، ص 345.

فعصر المماليك ليس من العصور الأدبية المستشهد بها كما أنه لم يعطي في هذه النصوص أي تاريخ حتى نستطيع التعرّف على العصر الذي تنتمي إليه.

الوزارة في العصر العثماني: ذكر في البداية عدة نصوص تشرح نشوء الدولة العثمانية خاصة في مصر، ولكن الذي يهمّنا هو الشواهد التي تثبت استعمال الوزير والوزارة في هذا العصر نذكر البعض مما أورده:

«أما كلمة الوزير فتشير في الدولة العثمانية إلى موظف فيها رتبةً، وله الكفاءة الإدارية والعسكرية...إلخ. (معجم الدولة العثمانية (وزير) للدكتور حسين مجيب المصري) »[1]

«وقد كان لفظ (الوزير) مستعملا في المغرب، وقد كتب محمد بن عبد الوهاب الغساني (ت ١١١٩هـ)، كتابا أسماه (رحلة الوزير في افتكاك الأسير) عن سفارته إلى إسبانيا لمفاداة الأسرى المسلمين بها (١٦٩٠م-١٦٩١م). (رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تحقيق ألفرد البستاني) »[2]

«استمر إطلاق كلمة الوزير على الولاة الذين كانت ترسلهم الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر من أمثلة ذلك: تولى الوزير المكرم على باشا حكيم... ولايته الثانية ١٧٥٥م، وكانت ولايته الأولى ١٧٤ (تاريخ الجبرتي١/٣١٩،٢٥٩،٢/١٥٩١) »[3]

الوزارة في العصر الحديث: من أهم الشواهد التي أوردهافي هذا العصر هي:

«كانت عبارة(الوزيرالأعظم) أو(الوزير)شائعة في خطاب الباشا محمد علي، فالطهطاوي في مقدمة رحلته (تخليص ...) يقول: وأتوسل إلى الحضرة العليا... الوزير الأعظم...الحاج محمد علي باشا"

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 347.

[2]- المرجع السابق، ص 348.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

(تخليص الإبريز ص٣٩)»[1]

« ويتحدث خير الدين التونسي ت ١٨٩٠م في كتابه (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) والذي صدر أول مرة عام ١٨٦٧م عن مسؤولية الوزراء في فرنسا أمام مجلس الوكلاء (النواب) ويحدد اختصاصاتهم وعلاقاتهم بكل تنظيمات الدول وقد سبق أن تحدث في أول مقدمته عن فكرة الوزارة عند الماوردي وضرورتها في سياسة الدولة. (انظر ص ١٦٣،٢٥٥) »[2]

وفي آخر شواهده يشر بأن:« في عهد الخديو إسماعيل استعمل مصطلح النظارة مقابل للوزارة وفي هذا يقول:وظلت كلمة (الناظر) و(النظارة) مستعملين في المكتبات الرسمية حتى عام ١٩١٤م حيث صدر الأمر الآتي في عهد السطان حسين كمال بناءا على ما عرضه رئيس مجلس الوزراء أمرنا... بتعيين وزراء..."ومنذ هذا التاريخ اختفت (النظارة) و(الناظر) ومجلس النظار لتحل محلها الوزارة والوزير ومجلس الوزراء. (النظارات والوزرات ص ١٨٩) »[3]

ومنه نستنتج أن من سنة 1914 م إلى هذا الوقت تستعمل كلمة الوزير بمعنى رجل الدولة الذي يختاره رئيس الحكومة للمشاركة في إدارة شؤون البلاد مختصًا بجانب منها، أما الوزارة فهي عمل هذا الوزير وهي جماعة من رجال الحكم.

أما حديثنا عن هذا العنصر" الوزارة في العصر الحديث" فنلاحظ أنه خصص فيه ذكر الوزارة في العصر الحديث إلا أنّ النصوص التي قدمها ذكرت كلمة الوزير، لذا كان لابدّ من قوله في العنوان:في العصر الحديث كما سبق ذكره للعصور السابقة(العصر الجاهلي،الإسلامي العباسي).

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 349/348.

[2]- المرجع السابق، ، ص 349.

[3]- المرجع السابق، ص 350.

ومنه نستطيع القول في هذا العنصر" الوزير والوزارة في التاريخ العربي" أنّه عالجه معالجة تاريخية يتتبع مدلول "الوزير والوزارة" منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث،إلا أنه اعتمد في ذلك على بعض العصور الزائدة على العصور الخمسة المتفق عليها، وبعض العهود والدول (الوزارة في عهد بني بويه، الوزارة في الدولة الطولونية والإخشيدية الوزارة في عهد الفاطميين، الوزارة في عهد الأمويين بالأندلس، الوزارة في عهد المماليك،الوزارة في العهد العثماني).

فكل هذه العناصر كان من المفروض أن يعالجها وفقا للعصور الخمسة المتفق عليها (العصر الجاهلي، الأموي، الإسلامي، العباسي، الحديث) وهذا حتى يكون تصنيف العصور تصنيفا دقيقا، ولأنه أيضا عارض منهجه الذي أقر فيه أن:« النصوص المستشهد بها تنتمي إلى عصور اللغة العربية الخمسة المتفق عليها من لجنة المعجم»[1] وهي التي ذكرناها سابقا.

وفي الأخير نستنتج أن هذا النموذج (وزير والوزارة) اعتمد فيه على التكرار،لأنه أورد في العنصر الأول " الوزير والوزارة في الشعر العربي" مختلف العصور (العصر الإسلامي ثم العباسي ثم الحديث) وأورد في العنصر الثاني"الوزيروالوزارة في التاريخ العربي" مختلف العصور، وهذا بدوره يعتبر تكرارا في إيراد العصور الأدبية، وفي رأينا كان عليه أن يذكر العصور الزمنية مرة واحدة ثم يقدم الشواهد المختلفة لمصادر المعجم التاريخي سواء كانت من الشعر أم الحديث أو القرآن أم كتب تاريخية...إلخ. وهذا ما يجعل العرض منظما وموجزا.

أما النقطة الأخيرة التي نشير إليها وهي أنه بالرغم من أنه قدّم شواهد كافية " للوزير والوزارة" في مختلف العصور وبالرغم من العلاقة التي تربط بين هتيّن الكلمتيّن إلا أنه كان لابدّ من معالجة كل كلمة على حدى (أي يعالج الوزير ثم الوزارة)، لأن المعجم التاريخي للغة العربية يتهم بدراسة كل مدخل لوحده من أول استعمال له حتى آخر مجالاته أو انقطاعه.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 284.

7- حاجب وحجابة*

أدرج هذه المفردة ضمن العناصر الآتية:

الحاجب

الحجابة

الحاجب والحجابة في الشعر العربي:

العصر الجاهلي

العصر الإسلامي

العصر العباسي

العصر المملوكي

الحاجب والحجابة في الشعر العربي في العصر الحديث

الحجابة في العصر الجاهلي

الحجابة في قريش

الحجابة في عهد الرسول وعهد الراشدين

الحجابة والحاجب في العصر العباسي

الحجابة في المغرب والأندلس

الحاجب والحجابة في العصر المملوكي

الحاجب والحجابة في العصر العثماني

في العصر الحديث

* محمد حسن عبد العزيز، الحاجب والحجابة، ص351

صدر الحديث في هذا النموذج بتعريف موجز للجوانب الدلالية والشكلية للحاجب والحجابة، وهذا ما وافق منهجيته، وهذه التعاريف هي كالآتي:

«**الحاجب**:

- العظم الذي فوق العين بعظمه وشعره، وقيل: الشعر النابت على العظم المذكور،لأنه يحجب عن العين شعاع الشمس،ج: حواجب وحواجيب.
- ومن كل شيء: حرفه.
- الجانب.
- ومن الشمس: قرنها، وهو ناحية من قرصها حيث يبدأ في الطلوع.
- المانع أو الحائل أو الساتر.
- البواب بعامة، وقد يختص بالملك وغيره من أهل السلطة والثراء ج: حَجَبة وحُجَّاب.
- علم لرئيس قبيلة كبرى: حاجب بن زرارة.
- أصبح مثلا للصراع بين القبائل، وموضوعا للفخر والهجاء بين الشعراء.
- من يعمل بوظيفة الحاجب في نظام الحكم.

الحجابة:

- عمل الحاجب بعامة.
- سدانة الكعبة بخاصة.
- وظيفة خاصة في نظام الحكم »[1]

فرغم عرض هذه التعاريف لكل من الحاجب والحجابة إلا أنه لم يبيّن فيها تطوّرها اللغوي بيّن هذه المعاني والعلاقة التي ترتبط بينها.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 351.

الحاجب والحجابة في الشعر العربي:حيث قدم الشواهد الشعرية للحاجب والحجابة في الشعر العربي، وهذه الشواهد صنفها بحسب العصور التي تنتمي إليها وهي:

العصر الجاهلي: أورد بعض الشواهد منها:

« قال المهلهل بن ربيعة (٩٤ق.هـ):

وبكرٌ لها ظهرُ العراقِ وإن تشأْ يَحُل دونها من اليمامة حاجبُ (ديوانه ص ١٠٦)»[1]

فتاريخ شاعر هذا البيت لم يحدده، هل هو تاريخ الميلاد أو تاريخ الوفاة فيجب التحديد الدقيق للتواريخ.

«قال قيس بن الخطيم (ت ٢ ق.هـ):

تبدّت لنا كالشّمس تحت غمةٍ بدا حاجب منها وضنّت بحاجبِ

(يريد أظهرت جانبا من وجهها (ديوانه ص ٣٥)

قال بشر بن أبي خازم (ت٢٢ ق.هـ):

ففضضنّ جمعهم وأفلت حاجب تحت العجاجة في الغبار الأقتمِ (ديوانه ص ١٨٢)»[2]

فكل هذه الشواهد تثبت استعمال كلمة الحاجب بمعاني مختلفة، ولكن كلمة الحجابة لا وجود لها في هذه الشواهد.

كما أنه في البيت الثاني والثالث لم يرتبها تاريخيا، فمن المفروض أن يسبق البيت الثالث على البيت لأنه هو الأسبق زمنيا (22 ق.هـ ،أسبق من 2 ق.هـ).

في العصر الإسلامي: أورد عدة أبيات شعرية منها:

« قال أبوا الطمحان القيني (ت ٣٠هـ):

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 352.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب.

وقال حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ) يهجو الوليد بن المغيرة:

فمالك في الركنين حقُ حجابةٍ ولا لك في صِهرِ الرسول نصيبُ (ديوانه ص٣٠٢)»[1]

وبعدها أشار بأن:«النزعة القبلية استمرت ظاهرة في الشعر في عهد بني أمية وكثر التفاخر والتهاجي بزعماء القبائل، وكان حاجب بن زرارة فارس هذه الأشعار ومن ذلك:

قال عامر بن الطفيل (ت١١هـ):

أسرنا حاجبا فثوى أسيرًا ولم نترك لأسرته سواما

(لم يترك لأسرته سواما:اختزن ماله ولم يترك لهم شيئا) (ديوانه ص ١١٣) »[2]

«وقال الفرزدق (ت ١١٠هـ) يفخر بآبائه:

ومنا الذي أحيا الوئيد وغالب وعمرُو ومن حاجب والأقارع

(الوئيد:جد الفرزدق، وغالب: أبوه، وعمرو بن حدس وحاجب:حاجب بن زرارة، والأقارع:آل الأقرع بن حابس). (ديوانه١/٤١٨) »[3]

فالشواهد المنتمية إلى عهد بني أمية من المفروض أن يدرجها في العصر الأموي- الذي لم يذكره- ولا يدرجها مع العصر العباسي،لأن عهد بني أمية يعتبر عصر من العصور الأدبية.

في العصر العباسي: أورد في هذا العصر حوالي ستة عشر بيتا لعدة معاني يستحيل ذكرها جميعا نذكر البعض منها:

« قال بشار (ت ١٦٧هـ):

وصاحبٍ ليس يصافي الندي يسوس مُلكا وله حاجب

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 353.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 354.

(يعني يعقوب بن داود الوزير) (ديوانه ٢٢٧/١) »[1]

«وقال البحتري (ت ٢٨٤هـ):

لك بالباب حاجب كالح الوجه ساهم كلما جئت زائرًا قال لي أنت نائم

(ديوانهص ٢/٣٤) »[2]

«ويجمع المتنبي (ت٣٠٤هـ) حاجب على حواجيب ويقول:

أفدي ظباء فلاة ما عرفنا بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

(شرح ديوان أبي الطيب للمعري ٤٧/٤) »[3]

« قال ابن درّاج القسطلي (ت ٤٢١هـ) يمدح يحي بن المنصور:

إن راق حاجبها (فيحي) حاجبٌ ورث الحجابة والرياسة والده

(حاجبها: يعني الشمس، ويحي هو الممدوح)(ديوانه ٣٥٦) »[4]

« قال سبط بن التعاويذي (ت ٥٥٣ هـ) يعاتب فخر الدين محمد بن المختار نقيب مشهد الكوفة:

وازدحمت في الباب أتباعكم ما بين فراشٍ إلى حاجب (ديوانه ٤٥)»[5]

في العصر المملوكي: مما أورده من الشعر في هذا العصر:

«قال الشاب الظريف (ت ٦٨٨ هـ):

فكم حاجب يلقاك من دون أعينٍ ومن أعينٍ تلقاك من دون حاجب (ديوانه ص ١٧) »[6]

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص354.

[2] -المرجع السابق، ص 355

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[4]- المرجع السابق، ص 356.

[5]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[6]- المرجع السابق، ص 356/ 357.

فهذه الأبيات دلّت على استعمال الحاجب، ولكن العصر المملوكي لا يعدّ عصرا من العصور الأدبية فكان من المفروض أن يدرج هذا العصر ضمن العصور الأدبية الخمسة المتفق عليها.

الحاجب والحجابة في الشعر العربي في العصر الحديث: وفي هذا العصر يقول:« لم نجد فيما رجعنا إليه من شعراء العصر الحديث استعمالا يختلف عما سبق من استعمالات لكلمة الحاجببمعنى المانع، وحاجب العين، وحاجب الشمس، ومن يقوم بالحجابة عن أولي الأمر، وهذه بضعة شواهد على ذلك:

«يقول أحمد بن فارس الشدياق (ت١٨٨٧م):

وما تزدهيه العينُ إن جلَّ حسنها وليس له عن سائل العرف حاجب »[1]

لم يشر إلى مصدر الشاهد في هذا البيت.

« ويقول خليل مطران يخاطب عباس حلمي الثاني (ت ١٩٤٩م):

إذا لم يكن في دولة العلمِ حاجبُ أمير النُّهى إذْنًا فإني مخاطبُ (ديوانه ١٦٩/١)

يقول أحمد محرم (ت ١٩٤٥م):

نريدُ فيأبى الظالمون ونشتكي فيحجبنا منهم عن العدل حاجب »[2]

فكل هذه الشواهد من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث تناولت المعاني المختلفة للحاجب إلا أنه لم يدرس كل معنى على حدى من أول استعمال له حتى انقطاعه، بل ذكر المعاني مختلطة، بالإضافة إلى ذلك فإنه ذكر في العنصر الأول - الحاجب والحجابة في الشعر العربي- ولكن عند تطلّعنا إلى كل الشواهد مختلف العصور نلاحظ أنها كلها تثبت استعمال كلمة الحاجب في حين الحجابة لم نجد لها شواهد إلا بيت واحد فقط، فهذا العنصر كان لابدّ أن يورده بعنوان: الحاجب في الشعر العربي.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 357.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

وبعد ذلك تطرق إلى تناول الحجابة في مختلف العصور والأزمنة وذلك بتقديم الشواهد المختلفة من مصادر المعجم التاريخي وهي كالآتي:

الحجابة في العصر الجاهلي: من أهم الشواهد التي أوردها في هذا العصر:

«كان للحجابة عند الغساسنة الذين مارسوا نوعا من الحكم الملكي شأن كبير ويظهر أنّ ملوك الغساسنة والمناذرة كانوا قد تطبعوا بطباع الروم والفرس وأخذوا عنهم أبهة الحكم فحجبوا أنفسهم عن رعيتهم مخالفين بذلك العرف العربي.

(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ٢١٥/٥) »[1]

فهذا النص بيّن دور الحجابة عند الغساسنة، ولكن لم يبيّن استعمال كلمة الحجابة في هذا العصر.

وفي أخير شواهده يقول بأنّ:«الحجابة والحاجب كان لهما شأن آخر مع عرب الحجاز الذين لم يمارسوا نظامًا للحكم كالنظام المعروف لدى الغساسنة والمناذرة »[2].

ورغم ماقاله في هذه النقطة إلا أنه لم يورد شواهد تثبت ذلك.

الحجابة في قريش:أورد في هذا العنصر قولا واحدا اقتبسه من مصادر مختلفة ومما قاله:« كانت العرب تطوف بالبيت، وقد ابتنى قُصيّ بن كلاب دارًا بمكة، وهي (دار الندوة) وفيها كانت قريش تقضي أمورها، وقد عقد قصي لعبد الدار الحجابة واللواء والندوة والسقاية الرفادة وقال له لا يدخل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها ولا يُعقد لقريش لواء لحربهم إلا أنت بيدك... والحجابة هي سدانة الكعبة وتولى حفظها والإمساك لمفاتيحها.

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 357.

[2]- المرجع السابق،ص 358.

(السيرة النبوية لابن اسحاق،باب حديث الأحبار ص ٧٣، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ٢٥٩/٢، ٢٦٠)»[1]

فمعنى الحجابة من هذا النص هو نفسه الذي ذكره سابقا وهو سدانة الكعبة بخاصة، كما أن هذه المصادر يجب أن يعرضها متفردة أي كل مصدر لوحده.

وفي الأخير يشير أن هذا المعنى:« ظل معمولا به حتى عهد النبي – صلى الله عليه وسلم-»[2].

وما يمكننا قوله هنا أنه لم يحدد الزمن الذي تعود إليه الحجابة بل حدد المكان (قريش)، في حين أنّ المعجم التاريخي لا يهتم بدراسة اللفظ في مكان معين بل يدرسه وفق الزمن أو العصر الذي استعمل فيه.

الحجابة في عهد الرسول وعهد الراشدين: أورد العديد من النصوص منها:

«ولم يكن النبي- صلى الله عليه وسلم- حاجب يحجب الناس عنه، وكان يوجب على من يرغب في لقائه أن يستأذن... (العقد الفريد لابن عبد ربه ٨٢/١) »[3]

« بيد أنّ الرسول- صلى الله عليه و سلم- أوصى من يضطلع بأمر الولاية ألاّ يحتجبوا عن الناس وكان عمر إذا استعمل عاملا شرط عليه شروطًا منها ألاّ يتخذ حاجبًا، وأوصى عمّاله قائلا: إياكم والحجابَ، وكتب إلى معاوية وهو بالشام قائلا: إياك والاحتجابَ دون الناس.

(رسائل الجاحظ، رسالة في الحجاب ٣٣/٢)

[1]- محمد حسن عبد العزيز،ص 358.

[2]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[3]- المرجع السابق، ص 359/358.

وكان موضوع الحجابة في عهد الخلفاء الراشدين – كما يقول القلقشندي- حفظ باب الخليفة والاستئذان عليه،لا التصدي للحكم في المظالم – كما هو الآن- وذكر القُضاعي في(تاريخ الخلائف) ما يقتضي أن الخلفاء لم تزل تتخذ الحُجَّاب من لدن الصديق رضي الله عنه فمن بعده.

(صبح الأعشى ٢٧٣/٣) »[1]

« وقال زيّاد لحاجبه:" وليتك حجابتي وعزلتك عن أربع:هذا المنادي إلى الله في الصلاة والفلاح فلا تُعَوجنه عني، ولا سلطان لك عليه، ولا طارق الليل فلا تحجبه...

(صبح الأعشى ٤٤٠/٥، ورسائل الجاحظ ٣٦/٢) »[2]

فهذه الشواهد دلّت على المعنى الذي أورده سابقا للحاجب وهو: البواب بعامة،وقد يختص بالملك وغيره من أهل السلطة والثراء،أما الحجابة فيقصد بها عمل الحاجب بعامة وهذه الشواهد لم يجعل لها تاريخ إلا أنها استعملت في عهد الرسول والخلفاء الراشدون الذي يمثل العصر الإسلامي، فمن المفروض أن يصنف هذا العنصر ضمن العصر الإسلامي الذي لم يذكره.

الحجابة والحاجب في العصر العباسي: يقول فيه:«أصبح للحجابة شأن عظيم في دولة بني العباس، وإن كانت مرؤوسة للوزير، ومن ذلك أن الرشيد صرف محمد بن خالد بن بمرك عن حجابته وقلدها بن الربيع سنة تسع وسبعين ومائة... ولم تكن الحجابة خاصة بالخلفاء والأمراء فحسب، بل كان للوزراء وذوي الشأن وسراة الناس حجاب...

(انظر:الكتاب والوزراء للجهشياري ص ٢١٢، ٢٣٣، ٣٩٢)»[3]

فهذا النص بيّن شأن الذي كانت تمتاز به الحجابة،إلا أنه لم يستعمل لفظ الحاجب والحجابة في هذا العصر،كما أنّ هذا الشاهد لم يضع له تاريخ معين واكتفى بذكر العصر الذي ينتمي إليه.

[1]-محمد حسن عبد العزيز، ص 359.

[2]- المرجع السابق، ص 360.

[3]-المرجع السابق، الصفحة السابقة.

الحجابة في المغرب والأندلس: ذكر بعض النصوص أهمها:

« أما دولة بني أمية بالأندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة، ثم قسموا خطته أصنافا... وخصّوها باسم الحاجب، فارتفع أم الحاجب ومرتبته فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب.

(مقدمة ابن خلدون ٦٤/٢) »[1]

ويقول أيضا:« ومعنى الحجابة في دولنا بالمغرب الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وأهل دولته. (العبر ٤١٨/٧) »[2]

وما يمكننا قوله هو أنه حدد استعمال كلمة "حاجب وحجابة" في المغرب والأندلس في حين لم يحدد زمن استعمال هاتيّن الكلمتيّن أو العصر،وهذا ما كان يجب الاهتمام به لأن المعجم التاريخي يهتم بدراسة اللفظ عبر الزمن و ليس في مكان محدد

الحاجب والحجابة في العصر المملوكي: أورد بعض النصوص أهمها:

«وأما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوكة وهم الترك ينفذ الحكام بين الناس في المدينة، وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة على الإطلاق... وللحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجند عند الترافع إليهم وإجبار من أبى الانقياد للحكم، وطورهم تحت طور النيابة"(مقدمة ابن خلدون ٦٤٣/٢) »[3]

« يقول ابن إياس: وأمر الظاهر برقوق بإبطال ما كان يعمل في ذلك اليوم ورسم للحجاب ووالي القاهرة بأن يتوجّهوا إلى أماكن المتفرجات ويقبضوا على من وجدوه من العوام... فضربوهم بالمقارع وربما قطعوا أيدي جماعة منهم... (بدائع الزهور ٢/١ ص ٣٦٥) »[4]

---

[1]-محمد حسن عبد العزيز،ص 360.

[2]- المرجع السابق، ص 361.

[3]- المرجع السابق ، الصفحة السابقة

[4]- المرجع السابق ، ص 362/361.

فهذه الشواهد أثبتت استعمال الحاجب ولم تثبت استعمال الحجابة في هذا العصر،إلا أنّ هذه الشواهد غير تاريخية لأنه لم يحدد فيها أي تاريخ واكتفى بذكر العصر المملوكي رغم أنّ هذا العصر لا يعتبر من العصور الأدبية المستشهد بها،فمن المفروض أن يدرج هذه الشواهد ضمن العصور الأخرى ويعطي لها تاريخا معينا.

الحاجب والحجابة في العصر العثماني: يقول في هذا العصر:«ليس لديه مادة واسعة عن استعمال هاتيّن الكلمتين في العصر العثماني وقد كانت وظيفة الحاجب الذي يقوم على باب الحكام،أو سراة الناس ويعلن عن حضورهم، ويوسع الطريق لمحافلهم معروفة »[1].

فهذا العصر بالرغم من أنه لم يوجد فيه شواهد كافية،إلا أنه لا يعتبر عصرا من العصور الأدبية الخمسة المستشهد بها.

في العصر الحديث: أورد لنا نصا واحدا لهذا العصر هو:«ويبلغ الحال بوظيفة الحاجب الغاية في الهبوط حتى يكون في ترتيبه من الوظائف الدنيا في المجتمع المصري، حيث يقوم بحكم وظيفته بتنظيم دخول المتقاضيين إلى قاعة المحكمة وخروجهم، وبالمناداة على أطراف النزاع والشهود الذين يحل دورهم للمثول أمام المحكمة،كما ينفذ تعليمات هيئة المحكمة بإعلان انعقاد الجلسة ورفعها. (انظر في ذلك معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية حاجب، وتشريفة)»[2]

فهذا القول بيّن لنا أنّ وظيفة الحاجب العليا تراجعت مكانتها وقيمتها في العصر الحديث وأصبحت تدل على الوظيفة الدنيا(تنظيم دخول المتقاضين إلى المحكمة وخروجهم...) إلاّ أنه لم يبيّن هل"الحاجب أو الحجابة" انقطع استعمالهما في العصر الحديث أم استمرا، وما هي المعاني التي بقيت مستعملة وما هي المعاني التي زالت أو تطورت (باعتبار أنه ذكر في البداية عدة معاني لكل

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 362.

[2]-المرجع السابق، الصفحة السابقة.

من الحاجب والحجابة إلاّ أنه لم يبيّن تطورها الدلالي والاستعمالي) وهذه خاصية يجب مراعاتها في المعجم التاريخي الذي يدرس معاني اللفظ من أول استعمال له حتى آخر استعمالاته أو انقطاعه.

ومن ناحية أخرى فإنه لم يبيّن العلاقة التي ترتبط بين المعاني التي ذكرها لكل من الحاجب والحجابة(لم يبيّن التطور الدلالي الحاصل فيها) واكتفى بذكر الشواهد المختلفة لبعض المعاني.

كما اعتمد في هذا النموذج على أسلوب تكرار العناصر حيث تناول في البداية الحاجب والحجابة في الشعر العربي في مختلف العصور(العصر الجاهلي، في العصر الإسلامي،في العصر العباسي، في العصر المملوكي،الحاجب والحجابة في الشعر العربي الحديث) وبعد ذلك تطرق إلى معالجة الحجابة(في العصر الجاهلي،الحجابة في قريش،الحجابة في عهد الرسول وعهد الراشدين،الحاجب والحجابة في العصر العباسي،الحجابة في المغرب والأندلس الحاجب والحجابة في العصر المملوكي،الحاجب والحجابة في العصر العثماني،في العصر الحديث) ،إلا أنّ الشواهد التي وردت في الحجابة تناولت أيضا الحاجب، وهذا بدوره ما أدى إلى تكرار العناصر،فكان من المفروض أن يتناول كل كلمة لوحدها مع شواهدها الخاصة في مختلف العصور، فيعالج كلمة حاجب ثم الحجابة، وهذا ما يقتضيه المعجم التاريخي للغة العربية الذي يهتم بدراسة كل لفظ من أول استعمال له حتى آخر مجالاته عبر فترات زمنية متعاقبة.

وفي الأخير يمكننا القول أنّه لم يحاول في هذا النموذج "الحاجب والحجابة" التطرّق إلى جذر الكلمة ومشتقاتها كما حاول سابقا في بعض النماذج- إلاّ أنه قد أشار في منهجه أنّ«الانطلاق من الجذر إلى مشتقاته في معالجة المداخل يتطلب إحاطة أوسع بكل الاستعمالات المعروفة في المصادر، ولايمكن لفرد القيام به ولا تتوافر لديه متطلباته»[1].

[1]-ينظر،محمد حسن عبد العزيز،ص 284.

8- حكومة*

أورد هذه المفردة ضمن العناصر الآتية:

نظام الحكم عند العرب في العصر الجاهلي

الحكومة في التاريخ العربي

مفهوم الحكومة في العصر الحديث

مصطلح حكومة في الفقه الإسلامي

الحكومة في الشعر العربي في العصر الجاهلي

في العصر الإسلامي

في العصر العباسي

في العصر الحديث.

صدر الحديث في هذا النموذج بتقديم شرح موجز للجوانب اللغوية: الدلالية الشكلية وتطوّرها اللغوي وهذا وفقا لما قاله في منهج معجمه، وهذا الشرح هو:

«حَكَم بالأمر وعليه يحكُم، حُكمًا.

- الحكومة: الحكم، وردُّ الرجل عن الظلم.
- والحكومة:ما يحكم به الحاكم، وجمعها: حكومات، ويقال:هو يتولى الحكومات ويفصل الخصومات.
- والحكومة: الحادثة أو الواقعة (موضع الخصومة أو الحكم)
- الحكومة (في الفقه) ما يوجبه الحاكم في أرشى الجنايات فيما ليس فيه دية معلومة.

* محمد حسن عبد العزيز، حكومة، ص 363.

- والحكومة: نظام سياسي يختاره الشعب لتنظيم شؤونه،قائم على جهاز ينشر مشروعات استخدام السلطة في صياغة القرارات وتنفيذها.
- والحكومة: جماعة من رجال الدولة يختارهم (رئيس الوزراء) ليكونوا مسؤولين عن سياسة الدولة وإدارتها»[1] .

نظام الحكم عند العرب في العصر الجاهلي:

من أهم ما تحدث عليه في هذا العنصر هو:«نظام الحكم في المجتمع العربي الجاهلي عند البدو والحضر وأنظمة الحكم التي كانت سائدة منها:الحكم الرئاسي ونظام الحكم الملكي.

(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي ١٨٨/٥، ١٧٩/٥، ١٨٠)»[2]

إلاّ أن الذي يهمّنا في هذا المقام استعمال الحكومة في العصر الجاهلي وفي هذا يقول:«إننا مع الدكتور جواد علي في تحفظه في استعمال كلمة (حكومة) فهو يرى أنها تستعمل في هذا السياق على سبيل المجاز، فلم يكن للمدن حكومات بالمعنى المفهوم من الحكومة في الزمن الحاضر أي رئيس مفروض على المدينة بحكم الوراثة أو بحكم القوة أو رئيس منتخب من أبناء المدينة أو سادتها أو أشرافها لأجل معلوم أو لأجل غير معلوم...

(المفصل، جواد علي ٥/ ٢٤٦)»[3]

يتبيّن لنا من القول أنّ كلمة حكومة لم تكن تستعمل على سبيل الحقيقة، وهذا لأنه في العصر الجاهلي لم تكن هناك حكومات أو دولة أو مؤسسات...إلخ.

وكانت تستعمل هذه الكلمة بمعنى المجاز فقط، إلا أنه لم يحدد المعنى المجازي الذي كانت تحمله.

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 363.

[2]- ينظر، المرجع السابق، ص 364/363.

[3]- المرجع السابق، ص 364.

الحكومة في التاريخ العربي: يشير في البداية على قلة المصادر من كتب التاريخ التي وجدها لكلمة الحكومة مثل: الكامل في التاريخ وغيره من القليل الذي وجدهم، منهم:

« مما ورد في كتاب الكامل في التاريخ يحكي فيه ابن الأثر عن سليمان النبي وذهاب ملكه وفي كلام بينه وبين إحدى زوجاته،قالت له:" إنّ أخي بينه وبين فلان حكومة، وأنا أحب أن تقضي له، فقال أفعلُ..."(والكلمة هنا بمعنى خصومة أو قضية)»[1]

في هذا الشاهد (كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير) لم يشر فيه إلى رقم الصفحة.

«وتتردد كلمة (حكومة) في الحديث النبوي بمعنى الحكم والقضاء، ومن ذلك:" بعثني رسول الله - صلى الله عليه و سلم- إلى اليمن فقلت: إنّك تبعثني إلى قوم أسنّ مني، فكيف القضاء فيهم فقال؟ :" إنّ الله سيهدي قلبك و يثبت لسانك" قال: فما تعابيت في حكومة بعد.

(المسند الجامع، السيد أبو المعاطي النوري)»[2]

لم يشر هنا أيضا إلى رقم الصفحة في المصدر.

«وقد حكم النبي - صلى الله عليه و سلم- في أمور عرضت عليه، وكان حكمه يسمى حكومة ومن أمثلة حكمه:أنه حكم بين اليهود في قضايا: وقد تضمنت هذه الحكومة أمورا، منها:الحكم بالقسامة... والقتل. (زاد المعاد،لابن قيم الجوزية ج ٥)»[3]

كما يقول بأنّ:« كلمة حكومة تجيء بمعنى الحكم في قضية التحكيم التي جرت بين عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه- ومعاوية بن أبي سفيان ومن ذلك: قدم معن بن يزيد... وتحدث في استبطاء إمضاء الحكومة فأمر عليّ بإنفاذ الحكومة...(يعني لقاء أبي موسى بعمروبن العاص للحكم بما يقتضي به كتاب الله (تاريخ الرسل والملوك، للطبري ٦٦/٥)

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 364.

[2]- المرجع السابق، ص 365.

[3]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ولما بلغ عليًّا ما كان من أبي موسى وعمرو قال:إني كنت قد تقدمت إليكم في هذه الحكومة ونهيّتكم عنها فأبيتم إلا عصياني، فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذا أبيتم عَلَيَّ.

(مروج الذهب، للمسعودي ١٥٢١٣، ١٥٦)»[1]

فشواهد التي أوردها في الحكومة في التاريخ كلها تدور حول المعاني القديمة التي أوردها سابقا وهي الحكومة:الحادثة أو الواقعة(موضع الخصومة أو الحكم)،أو الحكومة ما يحكم به الحاكم ومن يتولى الحكومات ويفصل الخصومات،أو في الحكم.

كما قال في منهج معجمه أنه:«عالج هذا الموضوع "الحكومة في التاريخ العربي" تاريخيّا بتتبع مدلول الكلمة من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث»[2]،فإذا نظرنا إلى هذه الشواهد فنجد أنه لم يوضع لها أي تاريخ أو تحديد العصر الذي ينتمي إليه، وبالتالي بقيت هذه الشواهد غير مؤرخة ومفقودة لقيمتها التاريخية.

مفهوم الحكومة في العصر الحديث: أورد في هذا العنصر عدة شواهد من الكتب والمعاجم، نذكر البعض منها والتي تثبت استعمال كلمة الحكومة:

«لعل الكلمة قد تداولتها الألسنة والأقلام منذ دخول الفرنسيين إلى مصر وخروجهم منهاوفي خطاب أرسله ساري عسكر(منو) قرأه الترجمان على مشايخ الديوان في ١٨٠١/٨/٦م... وإن لم تقدروا لتنظيم أهالي البلاد بالهديّ والطاعة منه الحكومة الفرنساوي...،وفي الخطاب تكررت العبارة(الحكومة الفرنساوية). (عجائب الآثار، للجبرتي ٢٩٥/٥)»[3]

[1]-محمد حسن عبد العزيز،ص 365.

[2]- المرجع السابق، ص 286.

[3]- المرجع السابق، ص 366.

«ويقول علي مبارك:وجلس بعده على تخت الحكومة المصرية ١٨٤٨م أكبر أولاده المرحوم إبراهيم باشا... وولي بعده ابن أخيه عباس باشا حلمي(من ١٨٤٨م- ١٨٥٤م) ابن طوسون بن محمد علي بعد أن تنقل في ولايات الحكومة المصرية. (الخطط التوفيقية ١٩٣/١)»[1]

« وفي عام ١٨٨١م يصدر الشيخ حسن المرصفي (١٨١٠- ١٨١٥م) (ت ١٨٩٠م) كتابه الكلم الثمان، وفيه يعرف الحكومة بأنها قوة تحصل من اجتماع طائفة من الأمة لإمضاء مقتضيات الطبيعة على نحو يعرب من رضاء الكافة. (الكلم الثمان، ص ١٠٩)»[2]

« ويعرف أحمد تيمور(١٨٧١- ١٩٣٠م) الحكومة بأنها مجموع رجال الدولة، وزراؤها وأميرها وهي من مصطلحات الدواوين، ولا نظن استعمالها قبل محمد علي. (معجم تيمور الكبير حكومة)»[3]

وما يمكننا قوله هو أنّ كلمة "حكومة" تطور استعمالها في العصر الحديث فأصبح يقصد منها نظام سياسي يختاره الشعب ما لتنظيم شؤونه، قائم على جهاز يحتكر مشروعات استخدام السلطة في صياغة القرارات وتنفيذها،أو الحكومة هي جماعة من رجال الدولة يختارهم (رئيس الوزراء) ليكونوا مسؤولين عن سياسة الدولة وإدارتها، وهذيّن المعنيين هما الذين ذكرهما سابقا أثناء تقديمه لشرح موجز للحكومة.

مصطلح حكومة في الفقه الإسلامي: حيث يقول :« قال الأزهري في تعليقه على حديث "في أرّش الجراحات الحكومة": معنى الحكومة في أرّش الجراحات التي ليست فيها دية معلومة ويفسر ابن الأثير ذلك بقوله:أن يجرح شخص في موضع من بدنه جراحة تشينه، فيقيس الحاكم أرشها بأن يقول: لو كان هذا المجروح عبدا غير مشين بهذه الجراحة،كانت قيمته مائة مثلا وقيمته بعد الستين تسعون،فقد نقص عشر قيمته،فيوجب على الجارح عُشر دية الحر،لأنّ المجروح حر، ويجري ذلك

[1]- محمد حسن عبد العزيز،ص 366.

[2]- المرجع السابق ، ص 367.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

المعنى - أيضا - في البيوع، فالحكومة هي ما يأخذه المشتري من البائع إذا طلع عيب في المبيع، وهكذا يطلقه الفقهاء على الواجب الذي يقدر في أمر ليس فيه مقدار معين من المال.

(لسان العرب، وتاج العروس(حكم) والنهاية في غريب الحديث والأثر في (أرش)(وحكم)»[1]

وما يمكن ملاحظته هو أنه لم يكتفي بمدلول كلمة "حكومة" في الاستعمال العام، بل تناولها في الاستعمال الخاص بعلم بعينه وهو علم الفقه وهذا ما طبقه في منهجه، إلاّ أنه لم يحدّد تغييّر المدلول الذي حصل في مجاله، كما أنه لم يضع تاريخ محدد لهذا الشاهد وهذاما يجعلنا لا نعرف زمن استعمال "حكومة" في الفقه الإسلامي التي تعني:«ما يوجبه الحاكم في أرشّ الجنايات فيما ليس فيه دية معلومة»[2].

وبعد هذا كله خصّص تناول كلمة الحكومة في الشعر العربي على مختلف العصور كالآتي:

الحكومة في الشعر العربي في العصر الجاهلي:أشار إلى أن:« أقدم ما وصله من شعر الجاهليين يستعمل كلمة(الحكومة) بمعنى الحكم والقضاء في أمر من الأمور قول عوف بن الأحوص(وقد حضر يوم جَبَلَة ٧٠ ق. ه) في خلاف بين بعض بني جعفر وبني أبيبكر:

أُقِرَّ بحكمكم ما دمتُ حيًّا وأَلْزَمُه وإن بُلِغَ الفناءُ

فإنّك والحكومةَ يا بن كلب عليَّ وأن تكفَنني سواء.

(وابن كلب رجل عرض له أن يفعل به فعلا يعد قتله) (المفضليات، ص ١٧٤)»[3]

في العصر الإسلامي: أورد عدة أبيات تنتمي إلى هذا العصر من بينها:

« قال الأعشى (ت ٧هـ):

ولِمثْل الذي جمعتَ لِرَيْب الدْ دَهر يأبى حكومةُ المُقتال

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص368/367.

[2]- المرجع السابق، ص368.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

(يعني لا يَنفُذُ حكومةُ من يحتكم عليك من الأعداء، المقتال: المفتعل من قال)

(لسان العرب،لابن منظور(حكم))»[1]

«وقال حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ):

رفيتُ حكومة المِرقالِ قيس وما أَخسَستُ إذ حكَّمتُ خالي

(المرقال: يعني قيس بن سعد بن عُبادة، وكان شريفا، وهو من بني ساعدة، وأم حسان من بني ساعدة)

(ديوانه ص ٢٧٦)»[2]

وبعد هذه الشواهد يذكر بعض الشواهد التي وردت من شعراء بني أمية منها:

« قال جرير(ت١١٠هـ):

يا ذا العباءَةِ إنَّ بشرًا قد قضى أن لا تجوزَ حكومةُ النشوان

فدعوا الحكومةَ لستم من أهلها إنّ الحكومةَ في بني شيبان. (ديوانه ١٠١٢/٢)

وقال الطرماح (ت ١٢٥هـ):

وحكم من جَديلة قيصرِيَّ يباعدُ في حكومة أو يواتي (ديوانه ص ٢٦)»[3]

فهذه الشواهد التي تنتمي إلى شعراء بني أمية من المفروض أن يصنفها في العصر الأموي لأنه يعتبر عصر من العصور الأدبية، ولا يدرجها مع العصر الإسلامي.

في العصر العباسي: أورد العديد من الشواهد في العصر العباسي منها:

« قال ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ)

أفيما يفيدُ الشيبُ من واعظ النُهى وفاءٌ بهذا في حكومة زير؟ (ديوانه ٩٩٨/٣)»[4]

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز،ص368..

[2]- المرجع السابق، ص 269.

[3]- المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[4]- المرجع السابق، ص 370.

« وقال مهيار الديلمي (ت٤٢٨هـ):

بأيِّ حكومةٍ وبأي عدلٍ أُصابُ من القريض ولا أُصيبُ (ديوانه ١١٤/١)

وقال أبو العلاء المعرّي (ت ٤٤٩هـ):

وللزمان على أبناءه أبدًا حكومةٌ لا يردُّ الحكمَ راشيها (اللزوميات ١٦٨٠/٣)»[1]

ورغم إيراد العديد من الشواهد في العصر العباسي،إلا أنه لم يحدد معاني حكومة الواردة في هذه الشواهد، وبقيت غامضة تحتمل عدة معاني.

في العصر الحديث: يقول أنه:« في عهد محمد علي يظهر المدلول الحديث لكلمة (حكومة): كنظام لحكم الدولة وإدارة شؤونها، وكهيئة من مختصّين منوط بهم أعمال محددة، وتتردد الكلمة منذ ذلك الحين في أشعار الشعراء آنذاك»[2].

فهذاالقول بيّن لنا أنّ المعاني القديمة للحكومة انقطع استعمالها إلا هذيّن المعنيّين الذي أوردهما.

ثم يقول بأنّ:«أقدم المصادر التي تحصل عليها في هذيّن المعنيّين هو قول محمد سامي البارودي في محمد توفيق باشا حين عين ناظر الناظر(١٨٦٣-١٩٠٤م):

وكيف لا تبصرُ قصدَ الهدى حكومةٌ أنت لها ناظر (ديوانه ٦٩/٢)»[3]

« وقال جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣- ١٩٣٦م):

فتقوم فيها بالسدادِ حكومةٌ وتزول عنها دولةُ الأوغاد»[4]

« وقال معروف الرصافي (١٨٧٥- ١٩٤٥م):

حكومة شعينا جارت وصارت علينا تستبد بما أشارت

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 370.

[2]- المرجع السابق، ص 371.

[3]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[4]- المرجع السابق، الصفحة نفسها.

فلا أحدا دعته ولا استشارات وكل حكومة ظلمت وجارت»[1]

ففي البيت الثاني والثالث لم يشر فيهما إلى مصدر الشاهد والصفحة كما فعل سابقا وهذا ما يجعل هذه المصادر غير موثوقة،أما من ناحية التأريخ فنلاحظ أنه في العصر الحديث اعتمد على التاريخ الميلادي في تحديد تاريخ ميلاد الشاعر ووفاته، ولم يستمر بإيراد التاريخ الهجري الذي كان يعتمد عليه في العصور السابقة التي آخرها العصر العباسي وهذا ما يفقد التدرج الزمني للشواهد.

وفي أخير هذا النموذج نلاحظ أنه لم يعتمد فيه على التصنيف التاريخي للعصور الأدبية لأنه تناول أولا:نظام الحكم عند العرب في العصرالجاهلي ثم الحكومة في التاريخ العربيثم مفهوم الحكومة في العصر الحديث ثم مصطلح حكومة في الفقه الإسلامي وفي الأخير تناول الحكومة في الشعر العربي في مختلف العصور(العصر الجاهلي،الإسلامي،العباسي،الحديث) كما فصل بين الشواهد الشعرية والشواهد الأخرى،فكان من المفروض أن يدرج كل هذه العناصر ضمن العصور الأدبية الخمسة (الجاهلي،الإسلامي،الأموي،العباسي،الحديث)ثم يدرس كلمة حكومة حسب هذه العصور مع إعطاء مختلف الشواهد المنتمية إلى كل عصر من العصور،كما نلاحظ في هذا النموذج أنه لم يتناول جذر كلمة حكومة (أصلها) وأيضا مشتقاتها إلاّ أنه ذكر لنا في منهجه:«أنّ المنهج يقتضي أن ينطلق المدخل من الجذر إلى مشتقاته وذلك فمعالجة المداخل بهذه الطريقة يتطلب إحاطة أوسع مختلف المصادر ولا يمكن لفرد أن يقوم به ولا تتوافر لديه متطلباته."[2].

[1]- محمد حسن عبد العزيز، ص 371.

[2]- ينظر، المرجع السابق، ص 284.

خلاصة الدراسة التطبيقية

نستخلص من دراستنا لهذه النماذج الملاحظات العامة التي التزم بها وما لم يلتزم بها في ما أورده في منهج معجمه لوضع هذه النماذج.

أولا:ما التزم به وطبّقه

1- عدم رجوعه إلى المصادر الالكترونية، بل رجع إلى الفهارس اللغوية المصاحبة لبعض دواوين الشعر العربي وللدواوين نفسها وللعديد من المصادر التاريخية.

2- عدم الانطلاق في المنهج من الجذر إلى مشتقاته في هذه النماذج، لأنه يقول بأنّ معالجة المداخل بهذه الطريقة يتطلب إحاطة أوسع بكل الاستعمالات المعروفة في المصادر، وهذا عمل لا يمكن لفرد واحد القيام به ولا تتوافر لديه متطلباته، بالرغم من بعض النماذج التي أشار فيها إلى أصل الكلمة وإيراد بعض مشتقاتها كما فعل في السياسة، زنّار، ترجمان، إلا أن محاولته في هذه النماذج كانت غير كافية ولم ينطلق من الجذر إلى مشتقاته

3- صدر الحديث عن الكلمة المدروسة بتعريف موجز لجوانبها اللغوية: الشكلية والدلالية وتطورها اللغوي.

4- ذكر صاحب الشاهد في الشواهد الشعرية، مع تحديد سنة ولادته ووفاته وما أمكن ذلك وحين يتعسر ذلك يذكر منتسبا إلى عصره، ويذكر مصدر الشاهد في السطر التالي له من ديوانه أولا أو من مجموعته الشعرية، أو من غير ذلك من المصادر.

5-ذكر بعض المعلومات عن مناسبة النص(في الشواهد الشعرية) أو تفسير بعض غريبه.

6- عدد الشواهد الشعرية مرتبط بأمرين:

- أن تكون ممثلة لكل العصور.
- أن تكون دليلا على معنى محدد يكشف التغير أو الثبات الحادث للكلمة.

7- الفصل أحيانا بين الشواهد وجعل المجموعة الأولى للاستعمال الحقيق والثانية للاستعمال المجازي في النماذج (قطار وذرة وسياسة)، ومخالفة هذا النظام في النماذج الأخرى.

8-عدم الاكتفاء بمدلول الكلمة في الاستعمال العام وذكر مدلولها الخاص في علم بعينه أو فن بعينه وتحديد المدلول والتغيير الذي حدث له في مجاله في النماذج الثلاثة (ذرة، سياسة وحكومة).

9- التأريخ لمدلول الكلمة من خلال تفسيرات وكتابات عنها، في النماذج التالية(الزنار في التاريخ، الترجمان في التاريخ،الوزير والوزارة في التاريخ،الحجابة في التاريخ العربي، نظام الحكم عند العرب، الحكومة في التاريخ العربي)، ومعالجة هذه المواضيع معالجة تاريخية بتتبع مدلول الكلمة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث من كتابات المؤرخين والفلاسفة والفقهاء والأدباء...

10- توقّف الاستشهاد بالنصوص من العصر الحديث عند النصف الأول من القرن العشرين.

ثانيا: ما لم يلتزم به في معجمه ولم يطبّقه

1- اختياره لهذه الكلمات أو النماذج يهدف إلى التمثيل بصورة متعددة من التغيرات قد تكون راجعة إلى مبنى الكلمة أو معناها،أو باستعمالها أو هجرانها أو بغير ذلك من الصور التي يُعنى المعجم التاريخي ببيانها،إلا أنه في معظم النماذج اكتفى بذكر شواهدها المختلفة في مختلف العصور ولكنه لم يبيّن فيها معاني الكلمات التي هجرت والمعاني التي بقيت مستعملة.

2- انتماء النصوص المستشهد بها إلى عصور اللغة العربية الخمسة المتّفق على اعتمادها من لجنة المعجم(هذه العصور هي: الجاهلي،الإسلامي،الأموي،العباسي،الحديث)، إلا أنه خالف ما قاله في هذه النقطة وأورد العديد من الشواهد تنتمي إلى عصور ليست ضمن هذه العصور الخمسة مثل: وزارة في عصر المماليك،الوزارة في العصر العثماني،الحاجب والحجابة في العصر المملوكي، الحاجب والحجابة في العصر العثماني...

3- عدم انتماء الشواهد الشعرية التي وردت فيها الكلمة إلى العصور الخمسة من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث،لأنه أورد العديد من الشواهد الشعرية وأدرجها ضمن العصور التاريخية مثل: الترجمان في الشعر العربي في العصر الأندلسي،ثم العصر المملوكي، الحاجب والحجابة في الشعر العربي في العصر المملوكي.

وفي الأخير نسجل بعض الملاحظات العامة أثناء دراستنا لهذه للنماذج:

1- فصله أحيانا بين الشواهد المختلفة لمصادر المعجم التاريخيفدرس تاريخ الكلمة وتتبّع تغيّرها في مجال بعينه، وكل النماذج فصل بعض شواهدها مثل: قطار في الشعر العربي الحديث، الذرة مصطلحا في علم الكلام والفلاسفة،السياسة في الشعر العربي حتى العصر الحديث،الزنّار في التاريخ العربي،الترجمان في الشعر...وإلى غيرها من الشواهد التي أوردها،في حينلا يمكن الفصل بين الشواهد بل دراسة تاريخ الكلمة يكون عن طريق التتبع الدقيق لتغيراتها من أوّل استخدام لها حتى انقطاعها، أو دراسة مختلف المعاني التي تحملها عبر الفترات الزمنية، وهذه الدراسة تكون بتقديم الشواهد المختلفة لكل فترة زمنية محددة.

2- اعتماده في تأريخه للشواهد الممتدة من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي على التاريخ الهجري،أما العصر الحديث اعتمد فيه على التاريخ الميلادي،ولم يستمر في إيراد التاريخي الهجري كما فعل في العصور السابقة.

3- اعتماده على المنهج التاريخي في البحث عن أقدم المصادر المتوفرة للكلمة بداية من العصر الجاهلي.

4- الإحاطة بمختلف مصادر اللغة العربية للمعجم التاريخي(القرآن الكريم،الحديث النبوي الشريف، الدواوين الشعرية،كتب فلسفية،تاريخية، دينية، تفاسير،المعاجم اللغوية ،مقالات...إلخ)،إلا أنّه حدّد ميدان بعثه لمصادر المعجم التاريخي أيّ من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث فقط.

5- عدم توثيقه لبعض المصادر التي أوردها، وكذلك بعض الشواهد لم يحدد لها تاريخها، إلا أنّ معظم الشواهد التي أوردها كانت مؤرخة.

6- اعتمد في ترقيمه لتواريخ الشواهد وصاحبها على الأرقام الهندية.

7- إشارته لمصادر شواهده في السطر التالي للشاهد مع ذكر الصفحة، أمّا ذكر تفاصيل المصادر (الاسم كاملا، دار النشر، التحقيق،الطبعة،البلد...إلخ)أوردها في الأخير في قائمة المصادر والمراجع.

خـــاتـمـــة

إنّ دراساتنا هذه تدخل في إطار الاهتمام بالأسس المعتمدة في بناء المعجم التاريخي للغة العربية وتقييمنا لبعض النماذج ومن خلال بحثنا هذا والمادة التي تمكّنا من جمعها ودراستها وتحليلها بالإضافة إلى الدراسة التطبيقية توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن تلخيصها فيما يلي:

1- المنهج التاريخي يصف اللغة وصفا دقيقا ويدرسها دراسة تاريخية، فهو منهج علمي قائم بذاته، وهو الذي يتّبع في إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية، لأنه يتتبّع ظاهرة لغوية ما عبر فترات زمنية متتابعة من أجل رصد التطور الحاصل فيها.

2- يعتبر المعجم التاريخي للغة العربية أشمل معجم في اللغة يشرح الألفاظ مع التأريخ لها ولدلالاتها من أول استعمال لها حتى انقطاعها.

3- المعجم التاريخي يقوم على أساس الاستشهاد بالمصادر العربية المختلفة، وهذا ما يجعل شرح الكلمات موثقا.

4- بالرغم من أنّ المعجم التاريخي مازال لم ينجز بعد في اللغة العربية، إلا أنه يبقى الحامل والحافظ للتراث اللغوي العربي.

5- أسس المعجم التاريخي للغة العربية هي متعددة ومختلفة من باحث إلى أخر، ولكن رغم اختلاف هذه الأسس في كل المحاولات والجهود التي ذكرناها سابقا بدءا من فيشر، العلايلي، عبد الرحمان الحاج صالح (مشروع الذخيرة اللغوية) ومحمد حسن عبد العزيز وغيرهم إلا أنها تتفق في الأسس العامة التي يعتمد عليها في وضع المعجم التاريخي للغة العربية منها:

- شرح الألفاظ حسب تاريخ استعمالها مع الاستشهاد عليها من النصوص.
- ترتيب الألفاظ ترتيبا تاريخيا، أي حسب الزمن الذي وضعت فيه أو العصر...إلخ.
- الاعتماد على المصادر المختلفة للغة العربية(قرآن، حديث، شعر، كتب، مقالات، وثائق...إلخ) للاستشهاد بها في شرح معاني الألفاظ.

- القيام بالدراسة التأصيلية للألفاظ (البحث عن الجذر أو الأصول الأولى للكلمات).
- الرجوع إلى أقدم المصادر المتوفرة للكلمات حتى آخر استعمالاتها.

وفي الأخير نحاول تقديم بعض الحلول المتعلقة بإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية:

- العمل على رفع مستوى الوعي بأهمية المعجم التاريخي للغة العربية والحرص على النهوض به.
- تشجيع الباحثين والمتخصصين في المعجميات على المعجم التاريخي للغة العربية.
- العمل على وضع الأسس العامة التي يعتمد عليها في وضع هذا المعجم والعمل على توحيدها.
- إجراء ندوات تحسيسية للأساتذة والباحثين.
- تضافر جهود المؤسسات والهيئات العربية(ماديا وعلميا) على المعجم التاريخي.
- تدعيم المشروع ماديا وسياسيا.

وبالرغم مما توصلنا إليه من نتائج في هذا البحث المتواضع إلى أنه يبقى مجرد محاولة منا وإن كانت غير كافية، فنتمنى أن يستفيد منها الآخرون ولو قليلا.

الملاحق

المصـــادر والمراجـــع

❖ **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع**

أ_ المعاجم:

1- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مجلد 13، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ط4.

2- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، بن أحمد الزمخشري، أساس البلاغة، تح، محمد باسل عيون السود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998، ط1.

3- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تهذيب اللغة، تح وتق: عبد السلام محمد هارون، راجعه: محمد علي النجار، مجلد 01، دب، دت، دط.

4- إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، تح، أحمد عبد الغفور عطار، ج1، دار الكتب للملايين، بيروت، 1990، ط4.

5- أوغيست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، تصدير: إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، القاهرة، 1967، ط1. أوغيست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، تصدير: إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، القاهرة، 1967، ط1.

6- فريدة زمرد، المعجم التاريخي للمصطلحات القرآنية المعرفة في تفسير الطبري، مطبعة -آنفو - برانت، فاس، 2005، ط1.

7- لويس معلوف، المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، 2002، ط39.

8- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، 2003، ط1.

9- محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ، تح: عبد السلام محمد هارون، ج7، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1994، ط2.

10- محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للغة العربية وثائق ونماذج، دار السلام، القاهرة، 2008، ط1.

ب- الكتب:

1- أبو عمر بن بحر بن محبوب الملقب بالجاحظ، البيان والتبيين، تح ونشر:علي أبو ملحم، مجلد01، دار مكتبة الهلال، بيروت، 2000، دط.

2- إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون والمناهج اللغوية، دار وائل للنشر،عمان، 2002، ط03.

3- ابن حويلي الأخضر ميدني،المعجمية العربية في ضوء مناهج البحث اللساني والنظريات التربوية الحديثة، دار هومة، الجزائر، 2010، دط.

4- الشاهد البوشيخي، مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العالمية، مطبعة آنفو- برانت، فاس، 2002، ط1.

5- حسين نصّار، المعجم العربي شأنه وتطوره، ج1، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1988، ط4.

6- حسين نصّار، المعجم العربي شأنه وتطوره، ج2، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1988، دط.

7- حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية، بيروت، 1988، ط1.

8- حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي،دارالنهضة العربية، بيروت،1997، ط1.

9- حمدي بخيت عمران،المفصل في المعاجم العربية، مكتبة زهراء الشرق، د.ب، 2005، ط1.

10- سناني سناني، في المعجمية والمصطلحية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع،عمان، 2012، ط1.

11- صالح بلعيد، في المناهج اللغوية وإعداد الأبحاث، دار هومة، الجزائر، 2005، دط.

12- صالح بلعيد، في المناهج اللغوية والمنهجية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، الجزائر، 2014، دط.

13- عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج1 من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار العلم للجميع، بيروت، دت، دط.

14- عبد الله العروي، مفهوم التاريخ للألفاظ والمذاهب والمفاهيم والأصول، ج1، المركز الثقافي العربي، الجزائر، 2012، ط4.

15- عبد الجليل مرتاض، التحولات الجديدة للسانيات التاريخية، دار هومة، الجزائر، 2005، دط.

16- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،الجزائر،2007، دط.

17- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2009، دط.

18- عبد العلي الودغيري، دراسات معجمية نحو قاموس عربي تاريخي وقضايا أخرى، مطبعة النجاح الجديدة، فاس، 2001 ط1.

19- علي حسن مزبان، المعاجم العربية، دراسة وصفية تحليلية، دار الشموع للثقافة، دب، 2002، ط1

20- عبد القادر عبد الجليل، المدارس المعجمية، دراسة في البنية التركيبية، دار صفا للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ط1.

21- محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2003، دط.

22- مجموعة من المؤلفين، المعجمية العربية قضايا وآفاق، ج2، دار كنوز المعرفة العلمية، عمان، 2014، ط1.

23- نادية رمضان النجار، مباحث في اللغة والنحو، مؤسسة حورس الدولية، القاهرة، 2014، دط.

24- يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2004، دط.

ج - كتب التفسير:

1- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن الكريم، تح: سامي بن محمد السلامة، ج3

د - المجلات:

1- اليوم الدراسي حول المناهج (مجلة)، منشورات مخبر الممارسات اللغويةفي الجزائر، ع خاص، الجزائر، 2011.

2- الممارسات اللغوية (مجلة)، مخبر الممارسات اللغوية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، ع15، الجزائر، 2010.

3- المعجمية (مجلة)، جمعية المعجمية العربية بتونس، ع7، شركة فنون الرسم والنشر، تونس، 1992.

هـ - المطويات:

1- مطوية الندوة الدولية للمعجم التاريخي للغة العربية، قضاياه النظرية والمنهجية والتطبيقية.

فهرس الموضوعات

مقدمة .....أ/ج

الفصل الأول: مفهوم المعجم التاريخي للغة العربية وأسس بنائه.....5

المبحث الأول : المنهج التاريخي، مفهومه، نشأته وأهم سماته.....5

1- مفهوم المنهج التاريخي:.....5

1-1- تعريف المنهج لغة واصطلاحا: 5

1-1- أ- لغة.....5

1-1- ب- اصطلاحا.....6

1- 2- تعريف التاريخ لغة واصطلاحا:.....7

1-2- أ- لغة.....7

1-2- ب- اصطلاحا: 8

1-3 - تعريف المنهج التاريخي.....9

2- نشأة المنهج التاريخي.....11

3- سمات المنهج التاريخي.....13

المبحث الثاني: مفهوم المعجم التاريخي.....16

1- المعجم التاريخي.....16

1-1- تعريف المعجم لغة واصطلاحا.....16

1-1-أ- لغة.....16

1-1- ب-اصطلاحا.....17

1-2- تعريف المعجم التاريخي.....18

2- علاقة المنهج التاريخي بالمعجم التاريخي.....21

المبحث الثالث: أهم جهود العلماء لوضع أسس إنجاز معجم تاريخي للغة العربية.....25

1- اللغة العربية والمعجم التاريخي.....25

2- أهم المحاولات والجهود لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.....27

2-1- فيشر.....27

2-2- المحاولات الفردية التي جاءت بعد فيشر.....36

2-2-أ- إسماعيل مظهر 36

2-2- ب- إبراهيم إبراهيم يوسف..... 37

2-2-ج-عبد الله العلايلي..... 37

2-3 -جهود الجمعية المعجمية العربية بتونس في المعجم التاريخي.....39

2-4- محاولة اتحاد المجامع اللغوية.....41

2-4- أ- مشروع الذخيرة اللغوية العربية.....43

2-4- ب- المعجم التاريخي للغة العربية (وثائق ونماذج).....46

2-5- تجربة معهد الدراسات المصطلحية بفاس حول إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية.... 48

2-5- أ- المدارسات العلمية.....49

2-5- ب- الأيام الدراسية.....50

2-5-ج- الندوات..... 50

2-5- د- نشر منشورات علمية متخصصة.....53

أ- مشروع المعجم التاريخي للمصطلحات العلمية..... 53

ب- نشر كتاب فريدة زمرد 54

الفصل الثاني: دراسة تطبيقية لنماذج من معجم محمد حسن عبد العزيز.....61

1- قطار..... 63

2- ذرّة.....75

3- سياسة.....99

4- زنار..... 104

5- ترجمان..... 111

6- وزير ووزارة.....119

7- حاجب وحجابة.....135

8- حكومة..... 148

خلاصة الدراسة التطبيقية.....157

خاتمة.....162

الملاحق.....165

المصادر والمراجع.....173

فهرس الموضوعات.....177